كتـــابُ الميـــزانِ

تأليف:

أُمُّ حَمْـــــزَةَ بِنْـــــتُ زُهَيْـــــرٍ



الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥م



البدايـــــة

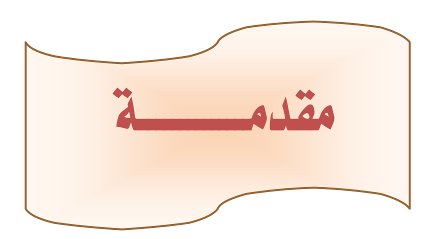
الجمعـــــة

١٣ صفـــــر ١٤٤٤هـ

الموافـــــق

١٠ سبتمبـــــر ٢٠٢٢م





مقدمـــــة

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلامًا على عبده المصطفى، وعلى آله وصحبه ومَن اجتَبَى... الحمد لله أولًا وآخرًا على أن يسَّر لنا كتابة هذه الكلمات، ويسَّر لنا نشرها، وأعان على ذلك.

كانت فكرة الكتاب نابعةً من واقع حياةٍ صاخبةٍ جدًّا، نوعٌ من الصخَبِ غير المعتاد، ليس صخبَ ازدحام الطرق، واصطفاف تعبئة الوقود، ووسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي؛ بل هو صخب الألم والمعاناة، وتفشي الظُّلم، وتغيُّر المعايير وتقلُّبها... ومن هذا الصخب وما نجمَ عنه من زَخَم، نشأت هذه الفكرة، وبدأت في التبلور مع ازدياد المتغيرات وتنوع المشكلات، ثم أخذت تتقولَبُ في كلمات تزدان بها وتزداد لتزخر بها صفحات هذا الكتاب.

ترددت كثيرًا في الكتابة، وأقدمتُ وتراجعت مرارًا، خاصة بعد فقدي لكتابي الأول نظرًا لظروف قسرية مررتُ بها، إلى أن منَّ الله عليَّ، وأنعم عليَّ بالحزم والعزم على كتابة هذا الكتاب كمسودةٍ أولًا، ثم إعادة كتابته كرسالة أو كُتيب صغير، وإني لأرجو أن يجعل الله منه وفيه وبه سببًا للإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله.

ولأن سلوك طريق المعالي ليس باليسير إلا لمن يسر الله له ذلك بصفاء روحه، ولأننا – أحيانًا- نكتب ما نحتاج، لا ما نجد؛ فلربما لا يجد القارئ كلماتي هي الأكثر بلاغة، أو أسلوبي هو الأكثر إبداعًا، ولكنه قد يجد منها ما يلامس حنايا قلبه؛ لأنها خرجت من شغاف القلب... بل إنها لم تجد سبيلها إلى الخروج إلا بعد ما اعترك القلب تجارب ليست بالقليلة، وما اختبر تلك التجارب كثير من الخلق.

وقد يجد القارئ الكلام مُكرّرًا، إلا أنه لن يكون مُمِلًّا؛ لأن الداعي إلى تكراره أن يكون هادفًا ونافعًا ومفيدًا؛ فاللهم إخلاصًا لا حظَّ فيه للنفس أبدًا.

الميـــــزان





- ما الذي يتوارد على ذهنك إن قرأتَ كلمة (الميزان)؟
- وهل تختلف الموازين فيما بينها؟
- ما الهدف من معرفة معنى كلمة (الميزان)؟ أو بمعنى آخر: ما السبيل إلى تحقيق معناها؟
- كيف يُمكن تخيُّل الحياة بدون وجود فكرة الميزان؟
- هل يُتوقَّع نجاح في الدنيا، أو نجاة في الآخرة، لمن اختل عنده الميزان؟



وَقَاضٍ قَدْ قَضَى فِي النَّاسِ عَدْلًا ... لَــهُ كَــفٌّ، وَلَــيْسَ لَــهُ بَنَــانُ

رَأَيْـتُ النَّـاسَ قَـدْ قَبِلُـوا قَضَـاهُ ... وَلَا نُطْــقٌ لدَيْــهِ، وَلَا لِسَــانُ

إنَّ أول ما يتبادر إلى ذهنك عن الميزان، سيختلف بحسب اهتماماتك؛ فالطفل سيتخيل لعبة الميزان، والتاجر سيفكر في ميزان البيع والشراء، والقاضي سيتبادر إلى تفكيره ميزان العدل... ومن بين كل هذه الموازين وغيرها؛ فإنَّ هذا الكتاب سيتناول بالحديث والشرح أهم ميزانين مترابطين في الحياة، أحدهما سبب، والآخر نتيجة! والتفصيل فيهما؛ لنخرج بالهدف من معرفتهما، وكيفية تحقيق - ولو

الميـــــزان



أقل القليل- منهما؛ لأنه لا نجاة في الآخرة إن اختل ميزانك، ولن تكون ناجحًا في الدنيا إن تخليت عن ميزانك.

ما تعريفُ الميزان؟

الميزان إن عرَّفناه تعريفًا حسيًّا مُجرَّدًا لا استدلال فيه بأقوال العلماء، ولا آراء الحكماء؛ فهو ما يتبادر إلى الذهن أنه:

(تلك الآلة التي تُحدد مثقال كفة مقابل الكفة الأخرى خفةً أو ثقلًا أو توازنًا).

وهذا التعريف قريب المعنى من ميزان (السبب) الذي سنتناوله تاليًا للميزان الأول، ألا وهو (النتيجة)، وما التقديم إلا لأهميته؛ وذلك لأنه قد يَبعُد عن تعريف الميزان قليلًا؛ فهو ميزان القسط... ميزانٌ لا يُظلمُ فيه أحدٌ أبدًا... ميزانٌ لا يُهمَلُ فيه مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أو مثقال ذرَّةٍ إلا وتوضع فيه.

وقبل الشروع في بيان الميزان، يأتي التساؤل:

كيف تختل الموازين؟

اختلت المفاهيم؛ فاختلت الموازين، بفعل كهنة الإعلام، وسحر الفضائيات، وسلبيات مواقع التواصل الاجتماعي وشبكات الإنترنت؛ فعلى سبيل المثال: استُبدل في ميزان الجمال: الجمال الفطري، بجمال الصبغ والألوان؛ فاختل ميزان الجمال. واستُبدل مفهوم العفة والحياء والاحتشام، بمفهوم التجرد والابتذال في القول والفعل؛ فاختل الميزان!

الميـــــزان



واستُبدل مفهوم اتباع السُّنن، بالابتداع والفتن، وشاع دين المظاهر، وتوارى جوهر الدين، حتى أصبح التدين مظهرًا لا علاقة له بالباطن؛ فضاعت الحقيقة، واختل الميزان، وأصبحنا نعيش في حالة فصامٍ كاملة تتضارب فيها المفاهيم؛ فأصبح الزنا (بدرجاته) تفتُّحًا، والحجاب تخلُّفًا، والكرم سذاجةً، والبُخل دهاءً، والرشوة هدية، والخمور مشروباتٍ روحية، والشهامة والمروءة غباء، والسرقة والغش (فهلوة) وذكاء، والربا استثمار وحفظ للمال، والله عز وجل يقول: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ويقول: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

فنجد أن المخرجات متضاربة ومتناقضة، حتى وإن كانت متفقة تمامًا على أصول المسائل وأسس البناء، وترد كلها مشكاةً واحدة، إلا أن اختلاف المفاهيم والمعايير أدَّى لاختلاف النتائج واختلال الميزان.

وفي الحديث النبوي الشريف المروي عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أشرف[١] النبي ﷺ على أطم من آطام[٢] المدينة؛ فقال: «هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لَأَرَى مَوَاقِعَ الفِتَنِ خِلالَ بُيوتِكِم كَمَوَاقِعِ القَطْرِ[٣]»[٤]؛ فحياتنا ملأى بالفتن، ومن أشد الفتن التي يمكن أن يتعرض لها المرء: أن يضل وهو يحسب نفسه على هدى، وأنه ممن أحسن صنعًا، ويُفاجأ بأعماله وقد حبطت، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

نعوذ بالله من الخُسران...

---

(١) أشرف: علا وارتفع.

(٢) الأَطْمُ مثل الأَجْمِ، يُخَفَّفُ ويُثَقَّلُ، والجمع آطامٌ، وهي حصونٌ لأهل المدينة.

(٣) القطر: المطر، ومعنى «كمواقع القطر»، أي: في الكثرة والعموم بحيث لا يختص بها طائفة.

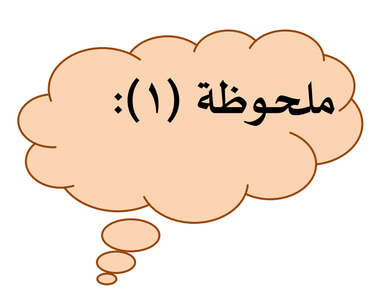
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب آطام المدينة، ح: (١٨٧٨)، ج٣، ص٢١.

الميــــــزان

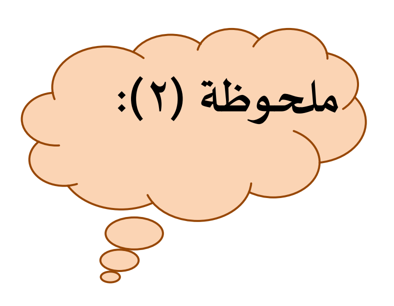




ليس نصرًا أن تعيش، ولا هزيمةً أن تموت، ولكنَّ المهم هو: كيف تعيش، وعلى أي شيء تموت!



ستكون إجابة الأسئلة في بداية المقدمة – ضمنيًّا- في ثنايا كلامنا التالي إن شاء الله.



في موازيننا، سيكون الهدف – غالبًا- ترجيح كفة الخير والأجر والثواب على الكفة الأخرى، وليس تحقيق الاعتدال بينهما.



الميزان الأول: ميزان الحق

هذا الباب، مما نَظَّرَتْ فيه الكتب، وانبرت له الأقلام، ولستُ أهلًا للكلام فيه، ولكنه الميزان الأهم في حياتنا، وهو المصب الذي تجري إليه أنهار أعمالنا، وكل سعينا في الحياة الدنيا... ولأنه مهم للبناء في ميزاننا الآخر، ولمن أراد التوسع؛ فليُراجِع كتب أهل العلم، كالعقيدة الطحاوية، والواسطية، ومعارج القبول، ومختصر العقيدة، وغيرها من كتب علماء السلف الصالح.

إنه ميزانٌ حقيقي، يُؤتَى به – كما قال أهل العلم- بعد العرض على المَلِك – الله ﷻ-، واختلف العلماء على ما يوزن فيه باختلاف فهمهم للأدلة، ويوزن فيه:

❖ صحائف الأعمال: لحديث البطاقة، الذي فيه توزن السجلات وترجح كفة الحسنات، وتطيش كفة السيئات، إذا ما وُضع فيها بطاقة «لا إله إلا الله»(١).

❖ أعمال العبـــاد: لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٨-٩]، ولقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ [القارعة:]، ولقوله ﷺ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى

---

(١) ونص الحديث: عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ ". قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ». أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله، ح: (٢٦٣٩)، ج٥، ص٢٤، وقال: «هذا حديث حسن غريب».



الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»[(١)].

❖ **العبـــاد**: لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]، ولحديث النبي ﷺ، الذي قال فيه عن ساقي عبدالله بن مسعود: «إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»[(٢)]، ولقوله ﷺ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، اقْرَءُوا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥]»[(٣)].

واختلف العلماء، هل هو ميزان واحد؟ أم موازين متعددة؟ خاصة وأنه كثيرًا ما يُذكر في القرآن بالجمع "الموازين"، قال ابن كثير: "الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه"[(٤)]. ويتضح من حديث البطاقة أنه له كفتان، كما ثبت من قول سلمان كبر حجمه، حيث قَالَ: «يُوضَعُ الْمِيزَانُ وَلَهُ كِفَّتَانِ، لَوْ وُضِعَ فِي أَحَدِهِمَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَوَسِعَهُ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي: قَالَ فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وَأَنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ وَقَوْلَهُمْ يُوزَنُ، ح: (٧٥٦٣)، ج٩، ص١٦٢.

(٢) ونص الحديث: عن زر بن حبيش، أن عبد الله بن مسعود، كان يحتز لرسول الله ﷺ سواكا من أراك، وكان في ساقيه دقة، فضحك القوم، فقال النبي ﷺ: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ». أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر تمثيل المصطفى ﷺ طاعات ابن مسعود التي كان بسبيلها من قدميه بأحد في ثقل الميزان يوم القيامة، ح: (٧٠٦٩)، ج١٥، ص٥٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، ح: (٤٩٩١)، ج١٣، ص٣٦٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ج٥، ص٣٤٥.

(٥) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، في سياق ما روي في أن الإيمان بأن الحسنات والسيئات توزن بالميزان واجب، ح: (٢٢٠٨)، ج٦، ص١٢٤٤.

الميـــــزان



وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «الْمِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ يُوزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ»[1].

ويوضع الميزان بعد انقضاء الحساب يوم القيامة، وفي ذلك يقول البيهقي: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها"[2].

والميزان من الغيب، والإيمان به من الإيمان بالغيب الذي يزيد اليقين في القلب، ولا نعلم عن آلية عمله إلا ما ورد فيه من أدلة.

همســـات

إنه الميزان، الذي لا يُظلم فيه مثقال حبة من خردل، قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل: وإذا انقضى الحساب، كان بعده وزن الأعمال...، ح: (٢٧٨)، ج١، ص٤٤٧.

(٢) شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ج١، ص٤٤٧.

الميـــــزان



وهذا الميزان لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها؛ فكل شيء مكتوب فيه وحاضر: كلماتك، ألفاظك، عباراتك، نظراتك، معتقداتك، هزلك، جدّك... ومن عدل الله الحكم العدل أنه لن يترك لك حسنة واحدة مهما صغرت، كما جاء في حديث البطاقة، الذي فيه: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»[١].

وهذا ميزان الرحمة؛ فإذا هممت بحسنة فعملتها، كتبها الله لك عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف، والله يضاعف لمن يشاء، وإن هممت بسيئة فعملتها كُتبت لك سيئة واحدة.

يا الله! ما أعدلك، وما أرحمك... ما أعظمك وما أكرمك!

ما ظلمتنا سبحانك، ولكنا ظلمنا أنفسنا؛ فاغفر لنا وارحمنا

هذه إحدى مراحل يوم الحساب، يوم الحاقة، يوم لا يضيع لك حقٌّ عند الله:

فكل ما زرعتَه في الدنيا ستحصده

---

(١) سبق تخريجه.



توقف هنيهةً وتفكَّر، فقط كلمة «لا إله إلا الله» طاشت لها موازين السيئات؛ فكيف تُضَيِّعُ الأيامَ والأعمارَ لاهيًا غافلًا عن ذكر الله وعن الطاعات؟!

بماذا تشعر عندما يمر بك حديث النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ»[(١)].

ألا تشعر أنك تودُّ لو لا يفتر لسانك عن قولهما قط؟ قال ﷺ: «بَخٍ بَخٍ وَأَشَارَ بِيَدِهِ بِخَمْسٍ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فَيَحْتَسِبُهُ»[(٢)].

وقال ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»[(٣)].

كيف هو شعور هؤلاء الذين يقفون يومئذٍ، ويتمنَّون لو وجدوا في صحائفهم ما يثقل به الميزان؟!

قال رسول الله ﷺ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»[(٤)]، وقال ﷺ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْمُفَرِّدُونَ؟، قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»[(٥)].

ما أعظم هذه الأجور بهذه الأعمال اليسيرة، وما أكبر حاجتنا لها في هذا الموقف العظيم؟!

فهل ستضيع وقتك بعد هذا في غير ذكر الله؟!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل التسبيح، ح: (٦٤٠٦)، ج٨، ص٨٦.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر استحباب الإكثار للمرء من التسبيح، ح: (٨٣٣)، ج٣، ص١١٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الوضوء، ح: (٢٢٣)، ج١، ص٢٠٣.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الاستغفار، ح: (٣٨١٨)، ج٢، ص١٢٥٤.

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر سباق الذاكرين الله كثيرا والذاكرات في القيامة أهل الطاعات إلى الجنة، ح: (٨٥٨)، ج٣، ص١٤٠.

انظر لهذا الأمر بموازين الدنيا: إذا كان أمام أحد فرصة لعمل جيد، وله أجور كبيرة، وقد تركه كسلًا أو غفلةً، ألن يتهمه الناس بالجنون؟ فكيف لمن ترك هذه الأجور العظيمة لذاك اليوم العظيم؟! والذي ليس بعده إلا نعيم مقيم: اللهم ارزقنا إياه، أو عذابٌ أليم: نعوذ بالله منه.

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ»؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»[1].



وَلَـدَتْكَ أُمُّـكَ يـا ابـنَ آدمَ بَاكِيًـا	والنــاسُ حَوْلَـكَ يَضـْحَكون سُــرورا
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ كي تَكونَ إذا بَكَوْا	فـي يَــوْمِ مَوْتِــكَ ضَــاحِكًا مَسْــرُورا

❖ قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤].

❖ وقال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»[2].

❖ وقال رسول الله ﷺ: «وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[3].

❖ كان الفضيل بن عياض يقول: "نِعمَ السائلون[4]، يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أُجرة، حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى".

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٣٣٧٧)، ج٥، ص٤٥٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، ح: (١١٥١)، ج٢، ص٥٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (١٩٨٧)، ج٤، ص٣٥٥.

(٤) السائلون: الذين يسألون الناس حاجتهم، ويطلبونها منهم.



❖وقال ابن الجوزي: "إن في القيامة لَحَسَرَات، وإن في الحشرِ لَزَفَرَات، وإن عند الصِّراطِ لَعَثَرَات، وإن عند الميزان لَعَبَرَات، وإن الظلمَ يومئذٍ ظُلُمات، والكُتُب تحوي النَّظَرَات، **وإنَّ الحِسْرَةَ العُظمَى عندَ السَّيِّئَات**...".

قصة "أبو نصرٍ الصياد":

كان أبو نصر الصياد رجل شديد الفقر، يعيش مع زوجته وابنه، خرج يومًا مهمومًا لعله يجد ما يُطعم به أهله، قابل رجلًا من علماء المسلمين اسمه "أحمد بن مسكين"؛ فنصحه أن يذهب إلى البحر، ويصلي ركعتين، ويسمي الله، ويرمي الشبكة... ففعل ما نصحه به؛ فإذا بسمكة عظيمة تخرج له؛ فعاد للشيخ ليعطي له منها؛ فقال له: "ما نصحناك لهذا، ولكن لله؛ فاذهب وأطعِم أهلك". فذهب للسوق وباعها، واشترى فطيرتين كبيرتين لأهله... وهو في الطريق، قابل امرأة تبكي ومعها طفلها، وكانا ينظران للفطيرتين؛ فقال في نفسه: "هذه المرأة وطفلها مثل زوجتي وابني جائعين؛ فماذا أفعل؟"، فلم يحتمل دموعهما، وأعطاهما الفطيرتين؛ فرأى الدموع وقد تبدلت ابتسامة وفرحًا، فارتاح لما فعل... وبينما هو عائد إلى بيته، عاوده الهم، وكيف سيُطعم أهله؟ وإذا بمنادٍ ينادي باسمه باحثا عنه؛ فقال للمنادي: هذا أنا، ماذا تريد؟ فقال له: "إنَّ أباك قد أقرضني مالًا منذ عشرين سنة، ثم مات، ولم أستدل عليك إلا الآن؛ فخذ ثلاثين ألف دينارٍ مال أبيك وقد نميتها لك".

تحولت حياة أبي نصر الصياد إلى الغناء والثراء، وأصبح عنده بيوت وتجارات، وأخذ يتصدق بالآلاف في المرة الواحدة شكرًا لله... ومرت الأيام، وكان يقول عن نفسه: "كثرت صدقاتي، وازداد إعجابي بنفسي، وفي ليلة، رأيت في المنام أن الميزان قد وُضع، وينادي منادٍ: أبا نصر الصياد، هلمَّ لوزن حسناتك وسيئاتك...



فوُضِعَت حسناتي، ثم وُضِعَت سيئاتي، وإذا بالصدقات الكثيرة يُقال عنها: "لم تكن لله"؛ فتوضع في ميزان السيئات، وتوالت حتى رجحت سيئاتي؛ فقلت: "يا إلهي! أين أموال الصدقات؟"؛ فإذا تحت كل منها شهوة أو عُجب... بكيت، وقلت: "أين النجاة؟"؛ فإذا بمنادٍ يقول: لا تُظلم عندنا، لا زال عندنا لك حسنات... فإذا بدموع اليتيم والأرملة التي تبدلت؛ فتساوت الكفتان، وإذا بالفطيرتين اللتين "كانتا لله" ترجح بهما كفة الحسنات، وتطيش كفة السيئات، وقال المنادي: لقد نجا... لقد نجا... وصحوت من نومي مفزوعًا.

فمن سيفيق من نوم الغفلة... قبل الحسرات والندم؟!

خاتمـــة:

قال ابن الجوزي: "يا ابنَ آدم، ألك عمل إذا وُضع في الميزان زان؟"...

تذكر يومًا لا يَصلُح فيه قول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠] هي الآن بين يديك؛ فاعمل صالحًا...

تذكر الميزان في يومٍ تقول فيه النار: ﴿هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ۝٣٠﴾ [ق: ٣٠]، ويُقال لأهل الجنة: ﴿وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ۝٣٥﴾ [ق: ٣٥]...

وشتان بين المزيدين!!!

اللهم يمّن كتابنا، ويسِّر حسابنا، وثقّل موازيننا، وثبت على الصراط أقدامنا،

واجعل الجنة مثوانا ومأوانا...

آميــــن،،،



الميزان الثاني: موازين الدنيا

قد تعجب من أنَّ كل أمرٍ في حياتك له ميزانه... وقد تعجب من كون هذه الأمور هي باب نجاتك في الآخرة...

إذا توازنت موازينك في الدنيا!

وهناك مَن فقدوا ذاك المؤشر لموازينهم؛ فتذبذبت كفاتهم رجحانًا ونقصانًا بسبب عطل فني أصاب موازينهم بسببٍ من أنفسهم، أو بسبب مِمَّن حولهم.

وقد قيل إنَّ هذا الزمان هو الأكثر ترشيحًا لعدم التوازن الذي يستجلب حالات حادة وصارمة في اتجاهات متناقضة؛ لعدم تمكن كثير من الناس من إحداث التوازن المطلوب في المعاملات الحياتية المحيطة به.

ولقد وضع الله لنا أُسُسًا، وتضمنت الشريعة قواعدَ بفهمها واتباعها تنتظم موازيننا في كافة أمور دنيانا، والعاقبة للمتقين، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومعنى الميزان في هذه الآية (العدل)، مما يعني أن العدل كله في الكتاب والبينات التي أرسل الله بها الرسل صلوات ربي وسلامه عليهم.

الميـــــزان



ميزان الدنيا:

إذا كان:

الميزان

موزونًا

في:

- ♥ عبادتك الخاصة بينك وبين الله
- ♥ مع نفسك
- ♥ مع من حولك

ينتج عن هذا:

ثبات وصبر ورضا وحُب في الله ويقين وقوة وعزة نفس وصدق وأمان

سينتج عنه:

أن تجد في صحيفتك ما يسر عند لقائك بربك ويرجح ميزان حسناتك، وتكون ممن يقول للناس: ﴿هَاؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة: ١٩-٢٠]

جنة الخُلد، ونعيم مقيم بإذن الله، بعد أن يُدخلك الله في رحمته

مفقودًا

ينتج عنه باختصار:

قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١]

ينتج عن هذا:

قلق واضطراب وتوتر وشك وضعف وذلة ومهانة وخوف وهلع

سينتج عنه:

لن تجد ما يسرك عند لقائك بربك والوقوف بين يديه وترجح كفة سيئاتك، وتكون ممن يقول متحسرًا: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦]

كلاليب على الصراط تتخطفك، وعذاب في النار، إلا أن يتغمَّدك الله برحمته



كيف نحقق الميزان في أمور الدنيا بشكل عام؟

١. اتباع ما أنزل الله على النبي ﷺ من الوحي: القرآن والسنة. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣٢].

٢. اتباع سنة النبي ﷺ وتعلمها والعمل بها، ومعرفة سيرته ﷺ؛ فقد كان أكثر الخلق توازنًا في أمور حياته، وفي سيرته أعظم الدروس لتحقيق التوازن. قال رسول الله ﷺ: «عَلَيكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[1].

٣. إعطاء كل ذي حق حقه كما أمر الله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: ٩]، ولقوله ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ» مؤكدًا على قول سلمان لأبي الدرداء: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»[2].

٤. استحضار الحقائق الكبرى والأمور العظام، كالموت والوقوف بين يدي الله، ومشاهد يوم القيامة، مما يُعلي في القلب الإيمان، ويكون له واعظًا إذا ما زلَّت

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، ح: (٤٢)، ج١، ص١٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ح: (١٩٦٨)، ج٣، ص٣٨. ونص الحديث: عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء؛ فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليًا؛ فقال له سلمان: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ».



القدم في الطريق، قال رسول الله ﷺ: «مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[1].

ملحوظة:

الموازين الثلاثة التالية متشابكة، وبينها علاقة تأثير وتأثر، ويدخل تحتهما سائر أمور حياة العبد.

وقفة من فضلك:

- ❖ هل تعلم: أن الإنسان متوسط العمر (في سن الثلاثين)، ومتوسط الوزن (حوالي ٧٠كجم)، ومتوسط الطول (حوالي ١٧٠سم) يبلغ عدد خلايا جسمه – مع اختلاف أنواعها وكثافتها وحجمها ووظيفتها- ما يقرب من (٣٧٢) تريليون خلية، والتريليون يساوي (١٠٠٠) مليار!
- ❖ هل تعلم: أن هذا النظام المتكامل المتجانس المثالي يعمل معك منذ ولادتك وحتى مماتك، بتقدير وتدبير الرحمن الرحيم، أرأيت حجم النعمة التي تُصبح وتُمسي فيها كل يوم؟ حتى من ابتلاه الله بمرض؛ فإن نظر لطبيعته، فسيرى أنه ابتلاء قليل في مقابل العافية في كثير من الأوقات والأمور! انظر لنعمة العين التي تقرأ بها كلماتي هذه!
- ❖ هل فكرت تفكيرًا متوازنًا نحو جسدك، وما فيه من نعم، التي كلما استحضرتها ازددت تعلقًا وحبًّا لله المنعم؟!
- ❖ كم أعطاك، وكم عصيته؟ كم أنعمَ عليك، وكم تجاوزت؟ وكم أرضاك، وكم أسخطته؟

فكيف لا تحبه سبحانه!!!

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٢٣٧٧)، ج٤، ص٥٨٨.

الميـــــزان



لم أحدثك عن باقي النعم، التي لا تُعد ولا تُحصى؛ فأنت أيها العبد الفقير غارقٌ في نعم الله ورزقه ورحمته، ثم كيف لا تُحبه؟!

هل تعلم هذا عن جسمك؟

- دماغ الإنسان يتألف من (٨٠) مليار خلية عصبية.
- يستخدم مخ الإنسان (٢٠%) من طاقة الجسم، بينما يزن ٢% فقط من وزنه.
- يوجد (٦٠٠٠٠) ميل (٦٥٦٠٠كم) من الأوعية الدموية في جسم الإنسان.
- تستغرق خلية الدم (٦٠) ثانية لتقوم بعمل دورة كاملة في جسم الإنسان.
- يدق قلب الإنسان (١٠٠٠٠٠) مرة يوميًّا.
- يتنفس الإنسان البالغ تقريبا (٢٠٠٠٠) مرة يوميًّا.
- تشكل المياه أكثر من (٥٠%) من وزن الشخص البالغ.
- يشرب الإنسان في المتوسط (٦٠٥٠٧) لترًا من الماء طوال حياته.
- تقوم الكليتان بتصفية (٢٠٠) لتر من الدم يوميًّا.
- يُخرِج الإنسان البالغ ما يقرب من (١.٤) لتر من البول يوميًّا.
- عدد خلايا جسم الإنسان حوالي (٣٧) تريليون خلية.
- الميكروبات التي تعيش في الجهاز الهضمي يبلغ عددها (١٠) أضعاف خلايا جسمه.
- (٢٥%) من عظام الإنسان في القدمين.
- يستخدم الإنسان (٢٠٠) عضلة ليخطو خطوة واحدة عند المشي.
- ويستخدم (٧) عضلات للابتسام، و(٣٤) عضلة للتجهُّم.
- الأذنان والفم هي الأعضاء الوحيدة التي لا تتوقف عن النمو في جسم الإنسان.
- بطانة المعدة تحمي المعدة من هضم نفسها.
- ترمش عين الإنسان حوالي ١٥-٢٠ مرة في الدقيقة لتمديد العين بالأكسجين وتنقيتها.
- عطسة الإنسان قد تتجاوز سرعتها (١٠٠) ميل/الساعة، بما يساوي (١٦١) كم/الساعة.

سبحان المبدع! سبحان الخالق!



أ - الميزان الأول: عبادتك بينك وبين الله

هذا الميزان يحتاج دومًا لملئه وترجيح كفته، واعلم أنَّ مَن تشرَّبَ قلبه بمعنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وأنه هو وحده المحبوب الذي تأتي محبة كل شيء دونه، حُبًّا فيه، وتقرُّبًا إليه سبحانه؛ فإنه لن يسعه إلا أن يسعى لرضاه والعمل بما أمر والكف عمَّا نهى سبحانه؛ فهي ليست مجرد لفظٍ، ولكن شعور وجداني بكمال العبودية لله، واستخلاص ما دونه من قلبه... كلمة تتذوقها القلوب قبل أن يتذوقها اللسان، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إخراج العبد عن داعية هواه حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبدٌ لله اضطرارًا)، أي السعي نحو ما يحب الله تعالى، لا إلى ما تهواه أنت، ويكون ما يحب الله أحب إليك مما تحب أنت...

العبدُ مَن انقاد قلبُه لربه رغبةً ورضًا، وخضعت جوارحه لمولاه، والعبودية تقتضي أن تكون محبًّا لله تعالى، ساعيًا لمحبته؛ فقد كان الصحابة يفعلون السنن فقط لأنها سُنَن (محبة منهم للنبي ﷺ واتباعًا له)، ونحن نترك السنن لأنها سُنَن (وندَّعي بعد ذلك محبته ﷺ) وكأننا استغنينا عن أجرها، ولا حاجة لنا بعظم وزنها!

قال رسول الله ﷺ عن ربنا ﷻ أنه قال: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»[(١)].

وبهذا يكون المسلم في حالة استسلام تام، وسكون للمُحب...

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التواضع، ح: (٦٥٠٢)، ج٨، ص١٠٥.



ولتعرف حال ميزانك في عبادتك، انظُر لنفسك في ثلاثة مواضع، وهي التي تمثل الثقل الذي يترتب عليه رجحان كفة ميزان عبوديتك:

(١) في الخلوات بينك وبين الله، قال رسول الله ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»[1]... وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة، وصف النبي ﷺ آخر هؤلاء السبعة بقوله: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا؛ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[2]... وشتان بين الخلوتين!

(٢) عند دخول وقت الصلاة (حالك- هيئتك- همَّتك)، وهل تأتي الصلاة في أول وقتها أم تؤخرها؟ أم أنت ممن ينتظرون الصلاة بعد الصلاة؟ قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ»[3].

عندما تصبح العادات عبادات، تفقد ميزانها، وتنحرف بوصلتك، انظر كيف كانت الصلاة عند النبي ﷺ، كان يقول: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»[4]، وكان ﷺ يقول: «يَا بِلَالُ، أَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»[5]، بينما حال البعض وهو يصلي: (أرحنا منها يا بلال)! فإذا جددت نيتك؛ ستعلو همتك للوقوف بين يدي مالك الملك في صلة مباشرة بينك وبين من تُحب... استشعر هذا الأمر عند الصلاة، لينضبط معه مكيال ميزانك.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب ذكر الذنوب، ح: (٤٢٤٥)، ج٢، ص١٤١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ح: (٦٦٠)، ج١، ص١٣٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حرمة الصلاة، ح: (٢٦١٦)، ج٥، ص١٢.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب النكاح، ح: (٢٦٧٦)، ج٢، ص١٧٤، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٥) أخرجه أحمد في المسند، ح: (٢٣٠٨٧)، ج٣٨، ص١٧٨.



ملحوظـة:

هذا الأمر يكون في كل العبادات، ولكن لأن الصلاة تتكرر يوميًّا؛ فهي أحوج لهذا التجديد المستمر.

(٣) إذا رأيت أو سمعت أن حُرمات الله تُنتهَك، أو أنَّ دين الله يُستباح؛ فكيف تجد حال قلبك؟ وماذا تفعل؟ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ﴾ [الحج: ٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾ [الحج: ٣٢]، وقال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج: ٣٥].

ولا يُمكن حصر العبادات من أعمال البر، وصنائع المعروف، والإحسان، وغيرها من الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى ربه ويُثقل بها ميزانه في بضع ورقات، ولكن سنركز على ما يملأ الميزان: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦].

ومن هذه العبادات:

♥ **الذكر:**

من تلاوة القرآن وترديد الأذكار والدعاء بالمأثور وغيره، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النساء: ٨٢]، وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

وكما قلنا عن فضل (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)؛ فهنَّ الباقيات الصالحات، وأجورهن عظيمة، وكالاستغفار والحوقلة، أي: قول (لا حول ولا قوة إلا بالله).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر، ح: (٢٩١٠)، ج٥، ص١٧٥.



وإذا علمت حديث النبي ﷺ أنَّه مَنْ قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ»[1]، وأنه ﷺ قال: مَنْ قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»[2].

وأنه ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِذَا أَمْسَى فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»[3].

ولمن أراد التوسع؛ فعليه بكُتيب صغير متوفر في كل مكان اسمه: (حصن المسلم) ويتضمن كثيرًا من الأذكار والأدعية، مع بيان فضلهن وأجورهن.

قال ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ...؟» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ»[4].

قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ما أجمل هذا القُرب، وما أحوجنا إليه! فمن منا ليس له حاجات في الدنيا؟ ومن منا قد اكتفى بحاجات

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح، ح: (١٨٨٤)، ج١، ص٦٩٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل التسبيح، ح: (٦٤٠٥)، ج٨، ص٨٦.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى، ح: (٣٨٦٧)، ج٥، ص٣٤.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب فضل الذكر، ح: (٣٧٩٠)، ج٢، ص١٢٤٥.

الآخرة؟ مَن منا لا يحتاج لربه جل وعلا؟ كيف وقد وصف النبي ﷺ الدعاء بأنه مخ العبادة[١]؟

جاءت فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تشكو للنبي ﷺ حاجتها لخادم؛ فقال لها: «أَلَا أَدُلُّكِ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْ خَادِمٍ؟ تُسَبِّحِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، حِينَ تَأْخُذِينَ مَضْجَعَكِ»[٢].

سبحان الله الذي جعل الذكر مصدرًا نستمد منه القوة، لنستعين به على القيام بأمور الدنيا، وأداء الطاعات.

قال بعض السلف: (إنَّ الذكرَ هو جنة الدنيا)، وقال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[٣].

إن الذين منَّ الله عليهم بذكره قد وهبهم حياة القلب، ورزقهم حلاوة الإيمان: (من ذاق عَرفَ، ومَن عَرفَ اغترفَ)... انظر لقوله ﷺ: قال الله تعالى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِي خَالِيًا ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلإٍ خَيْرٌ مِنَ الَّذِينَ تَذْكُرُنِي فِيهِمْ»[٤].

ما أعظم أن يذكرك مالك الملك في الملأ الأعلى!

---

(١) وذلك في الحديث الذي أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الدعاء، ح: (٣٣٧١)، ج٥، ص٣١٦، ونصه: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

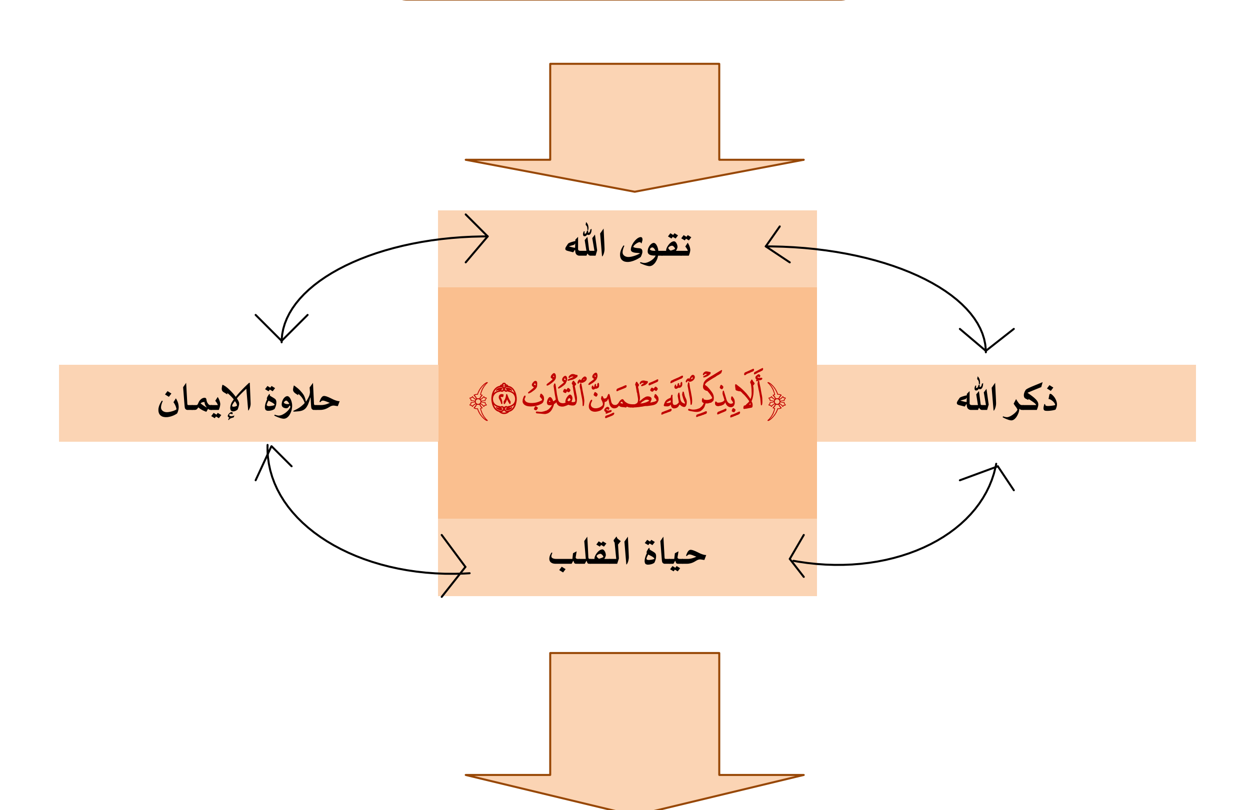
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب التسبيح أول النهار وعند النوم، ح: (٢٧٢٨)، ج٤، ص٢٠٩٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل ذكر الله عز وجل، ح: (٦٤٠٧)، ج٨، ص٨٦.

(٤) أخرجه البزار في مسنده، فصل في إدامة ذكر الله عز وجل، ح: (٥١٣٨)، ج٢، ص٨١.

الميـــــزان





هكذا تكون نتيجة وثمار ذكر الله كثيرا وعلى كل حال

ملحوظـة:

إن لم يكن للذكر فضل إلا أن الله تعالى قد سمى كلامه (القرآن) بالذكر الحكيم؛ فكفى!



فأسألك بالله، مَن مِنَّا في استغناء عن هذه الأجور العظام؟ وينشغل لسانه عن ذكر الله في كل وقت وحين؟ إنها عبادات يسيرة، وأجور كبيرة... قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ...»[١]... لا تتطلب منك حالًا أو زمانًا أو مكانًا معينًا، بل في كل وقت، وفي أي وقت... وقد كان رسول الله ﷺ كما وصفته أم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا حين قالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[٢].

فاجعل لسانك رطبًا بذكر الله، لاهجًا بدعائه

(اللهـــم أعنَّـــا علـــى ذكـــرك وشـــكرك وحُســـن عبادتـــك)

♥ التوبة والاستغفار:

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»[٣]؛ فكل إنسان يُخطئ، هكذا خلقنا الله ﷻ، نُخطئ لنتوب؛ وقد جاء في الحديث النبوي: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[٤].

وقال رسول الله ﷺ عن ربنا تبارك وتعالى: «يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[٥]... سبحان ربنا جل في علاه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل التسبيح، ح: (٦٤٠٦)، ج٨، ص٨٦.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب هل يتتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا، وهل يلتفت في الأذان، ح: (٦٣٤)، ج١، ص١٢٩.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٢٤٩٩)، ج٤، ص٦٥٩.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب سقوط الذنوب بالاستغفار والتوبة، ح: (٢٧٤٩)، ج٤، ص٢١٠٦.
(٥) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٣٥٤٠)، ج٥، ص٥٤٨.



ولن نكون قط كما كان النبي ﷺ في عبادته، ومع هذا كان يقول ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ، مَرَّةٍ»[(١)]، وقال ﷺ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[(٢)]، فكيف بنا نحن المقصرين والمذنبين! وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾ [النساء: ١١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[(٣)].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: ٥٣]، وجاء في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[(٤)].

وقال ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا، قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[(٥)].

ربك العظيم، مالك الملك، جبار السماوات والأرض، يفرح بتوبتك!

سبحانك ما أعظمك!

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار والإكثار منه، ح: (٢٧٠٢)، ج٤، ص٢٠٧٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة، ح: (٦٣٠٧)، ج٨، ص٦٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ح: (٢٥١)، ج١، ص٢١٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، ح: (٢٥٧)، ج٤، ص١٩٩٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب في الحض على التوبة والفرح بها، ح: (٢٧٤٧)، ج٤، ص٢١٠٤.

ومضـة:

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْلِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[1].

♥ حب الله ورسوله ﷺ:

هذه – وإن كانت ليست عبادة منفصلة- إلا أنها شعور فطري يزيد من قربك ومعرفتك عنهما؛ فمن عرف الله، لن يسعه إلا أن يحبه، ومن ذا الذي لا يحب مالك الملك الذي يقول: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾؟! بحساباتنا الدنيوية من وجد أحدًا من المسؤولين أو ذوي السلطة وقد رزقه الله حُسن خُلق، فيكون مع من دونه متبسِّطًا؛ فلن يسعه إلا أن يُحبَّه!

فكيف بمن رزقك بغير حساب؟! منحك ووهبك دون أن تطلب، ولم يكن ذاك ليزيد في ملكه شيئًا، بل منحه ووهبه لك أنت لأنه يحبك؛ فكيف لا تحب هذا الملك العظيم سبحانه؟! كيف ولم يقطع عنك رزقًا من ماء أو هواء، وأنت تبادر بالمعاصي صباحَ مساء؟!

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]

فمن عرف ربَّه، وتأمَّل في صفات محبوبه؛ لن يسعه إلا أن يمتلئ قلبه له حُبًّا... ولتعلم أكثر عن صفات الله ﷻ؛ فهناك كُتيب صغير يمكنك الاطلاع عليه، وهو بعنوان: (الأربعون في عظمة رب العالمين) للشيخ/ محمد صالح المُنَجِّد.

فقلوب المحبين بحارٌ، وشاطئ النجاة في محبة الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب أفضل الاستغفار، ح: (٦٣٠٦)، ج٨، ص٦٧.



جاء رجل إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ فَكَأَنَّ الرَّجُلَ اسْتَكَانَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «فَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[1]، وفي رواية أحمد، قال أنس: "فَمَا رَأَيْتُ الْمُسْلِمِينَ فَرِحُوا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحَهُمْ بِذَلِكَ"[2]، وليس فرحهم بهذا الحديث إلا لأنهم سيكونون رفقة النبي ﷺ بمحبتهم إياه.

لا تكاد تجد مسلمًا يؤمن بالله ورسوله ﷺ إلا وهو محبٌّ لهما، ويزداد حبًّا وشوقًا له ﷺ كلما اطَّلع على سُنَّتِه، وغاص في بحار سيرته، واستخرج من أعماقها لؤلؤ ودُرر شِيَمِه ﷺ.

ولأنَّ المُحِبَّ للمُحبِّ مُطيعٌ، والمحبة ليست مجرد كلام، وإنما تُترجم إلى أفعال، وكما قلنا سابقًا: كان الصحابة يفعلون السُّنَن؛ لأنها سُنن، وكثيرٌ منا ترك السُنَن؛ لأنَّها سُنَن! فصدق المحبة يظهر في حرصك على إرضاء مَن تُحب وطاعته: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

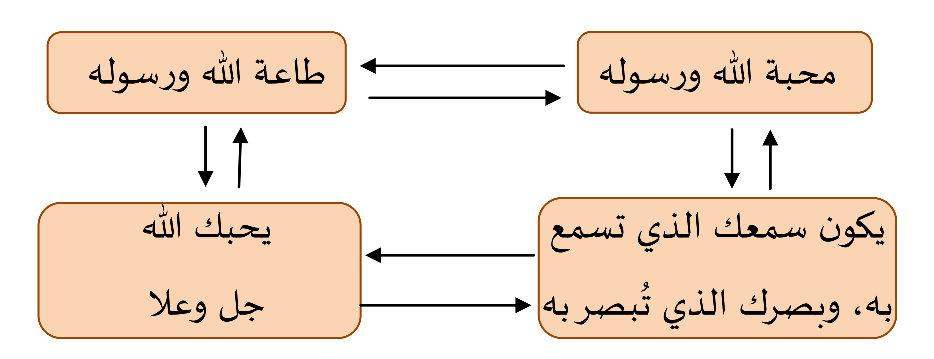
كان الصحابة يحبون النبي ﷺ أكثر من أنفسهم وأموالهم، وقد سأل الصحابي ربيعة بن كعب النبي ﷺ مرافقته في الجنة؛ فقال ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قال: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[3] أي الصلاة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب المرء مع من أحب، ح: (٢٦٣٩)، ج٤، ص٢٠٣٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك، ح: (١٣٠٦٩)، ج٢٠، ص٣٥٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل السجود والحث عليه، ح: (٤٨٩)، ج١، ص٣٥٣.



كما جاء في الحديث القدسي من قبل، الذي فيه: «وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ...»(١) الحديث.

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «إِذَا تَقَرَّبَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

مَن مِن ملوك الدنيا يفعل هذا معك يا عبد الله؟!

كيف لا تحبه سبحانه؟!

بل إنَّ مدار الإسلام كله حول هذا المعنى: [حب الله / الحب في الله / حب ما يحب الله / كُره ما يُبغض الله / حب لمن يحبه الله تعالى / كُره لمن يكرهه الله تعالى]، وقد يتحقق للمسلم ميزان عبوديته من خوفه من الله تعالى، ولكن لن يدومَ طويلًا؛ فكيف بمَن أدرك محبته؟! لقد رجح ميزانه: انظر لكرم الله وعظمته!

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ

---

(١) سبق تخريجه ص٢٠ من هذا الكتاب.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ح: (٧٥٣٦)، ج٩، ص١٥٧.



يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[١].

فمن يجدُّ السيرَ الحثيثَ إلى الله؟!

ملحوظة:

ما بين الخوف والرجاء (المحبة) من الله تعالى يحيى المسلم... قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر، ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف"؛ فالخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا؛ استوى الطائر وتمَّ طيرانه، وإذا نقص أحدهما اختل ووقع نَقْصٌ؛ فليس الخوف المطلوب هو الموصل لليأس من رحمة الله، بل ذاك الذي يؤدي للاستزادة من الطاعات.

♥ تقوى الله عز وجل:

وهي أن تعلم أن الله عليم، وسع علمه كل شيء، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وهو الرقيب سبحانه، قال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من هم بحسنة أو بسيئة، ح: (٦٤٩١)، ج٨، ص١٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في معاشرة الناس، ح: (١٩٨٧)، ج٤، ص٣٥٥.



وفي حديث الصخرة، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ، فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انظُرُوا أَعْمَالًا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ، فَادْعُوا اللهَ تَعَالَى بِهَا، لَعَلَّ اللهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحدُهُمْ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَامْرَأَتِي، وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ، حَلَبْتُ، فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ، فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ، فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ، فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا، فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلَابِ، فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، فَفَرَجَ اللهُ مِنْهَا فُرْجَةً، فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا، فَأَبَتْ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ، فَجِئْتُهَا بِهَا، فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللهَ، وَلَا تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً، فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ»[١]... وهكذا انفرجت الصخرة عنهم وانفرج عنهم ما كانوا فيه بتقواهم الله عز وجل.

وهذه قصصٌ في تقوى الله عز وجل:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، ح: (٢٧٤٣)، ج٤، ص٢٠٩٩.



القصة الأولى:

قصة شابٍّ فقيرٍ جدًّا، وكان يطلب العلم، ولا يملك إلا ثوبه، ولا مكان له يبيت فيه إلا المسجد، ومرَّت عليه ثلاثة أيام لا يجد فيها طعامًا إلا الماء، وأخذ منه الجوع مبلغه؛ فخرج بحثًا عن مَن يُطعمه؛ فإذا بنافذةٍ مفتوحةٍ لبيت، وفيه طاولة مُدَّت عليها أصنافٌ مختلفة من الطعام؛ فقز من النافذة داخل البيت، وأمسك بالطعام، وقبل أن يضع لقمةً منه في فمه، تذكر قول النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1]، وأدرك أنه سارق؛ فترك الطعام على المائدة، وخرج مسرعًا عائدًا إلى المسجد، وظل يصلي ويبكي ويستغفر الله، وبعد قليل، جاءه شيخه وقال له: أترغب في الزواج؟ فقال: كيف؟ وأنا لم أُطعم نفسي منذ أيام؟! فقال له: هذه أرملة أرادت أن تعُفَّ نفسها بمن يتق الله فيها، وتبحث عن طالب علم، ولا حاجة لها بمالك. فقبل الشاب، وتزوجها، وأخذته إلى بيتها؛ فإذا هو ذات البيت الذي همَّ أن يسرق طعامه، وقد أبدله الله بتركه الحرام بالبيت وصاحبة البيت والطعام.

القصة الثانية:

هي قصة لشاب مسلم يعمل كعامل مصعد في إحدى الشركات في أمريكا، وكانت ابنة صاحب الشركة من أجمل الفتيات، وكلما ركبت معه في المصعد يتجه ببصره إلى الحائط ولا ينظر إليها قط؛ فاغتاظت من فعله، وظنت أنه يراها غير جميلة ولهذا لا ينظر إليها؛ فسألته: لماذا لا تنظر إلي؟ وقد اعتدت ألا يراني أحد إلا ولا يكاد يُخفض بصره؛ فقال: ديني يأمرني أن أغض بصري عن غير محارمي.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (١٥٢٨٤)، ج٢٣، ص٤٢٥. والحديث إسناده قوي على شرط مسلم.



فسألته: وما دينك؟ قال لها: الإسلام. فطلبت منه كتبًا عن الإسلام، وأسلمت وتزوجها، وصار مديرًا للشركة، وفتح الله عليه أبواب الخير في الدنيا والآخرة بتقواه الله عز وجل.

القصة الثالثة:

لشاب كان يعمل بستانيًّا لدى رجلٍ ثري عنده كثير من المزارع، ولا يأتي البستان إلا على فترات بعيدة، وجاء يومًا وطلب من البستاني أن يحضر له ثمارًا من البستان ليأكلها؛ فأحضر له بعضًا منها، فإذا بها غير ناضجة وخالية من الحلاوة؛ فقال للشاب: ويلك! ألا تعرف الثمار الحلوة من الأخرى؟ فقال: لا. قال الرجل الثري: كيف ذلك وأنت تعمل هنا منذ أشهر؟ فقال الشاب: أنا أعمل هنا لحراستها والعناية بها وتنميتها، وليس للسرقة منها؛ فأُعجب الرجل بورعه، وزوجه لابنته، وأصبح مالك هذا البستان.

♥ صيام التطوع:

كصيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، وثلاثة أيام من كل شهر، والإكثار من صيام شهر شعبان.

قال رسول الله ﷺ عن ربنا تبارك وتعالى: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[1]... وقال تعالى في آية الصيام: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]؛ فالصيام باب من أبواب التقوى، والصائم يجاهد فيه لترك المعاصي والإكثار من الطاعات ليكتمل صومه وأجره؛ فيزداد تقوى لله عز وجل.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما يذكر في المسك، ح: (٥٩٢٧)، ج٧، ص١٦٤.



وقال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[1]؛ فالصيام عصمة من الوقوع في المعاصي والذنوب.

وكان رسول الله ﷺ يصوم يومي الاثنين والخميس، ويقول: «ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»[2]. وقال ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»[3]. فقط يوم واحد؟! ما أعظمك ربنا وما أكرمك، يمر الشتاء بنهار قصير لا حرَّ فيه ولا عطش، وقد قال ﷺ عنه: «الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ قَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَ وَطَالَ لَيْلُهُ فَقَامَ»[4].

فلتستغل هذه الأوقات في الصيام، ولا تُفوّت الأعمار بدون أجور تثقل في الميزان، وقيل: إنَّ العبد إذا بلغ القنطرة يوم القيامة؛ ليقتص منه العباد، ويأخذوا من حسناته بمظالم لهم عنده؛ فإنهم لا يأخذون من الصوم؛ لقوله تعالى كما ذكرنا منذ قليل: «إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي»؛ فيا لحظ من صام وتطوَّع وأكثر من (الجوع الشافي) كما أسماه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فهو شفاء للأبدان، وقوة في الجسم؛ وقد قال ﷺ: «أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»[5]، وقال

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزبة، ح: (١٩٠٥)، ج٣، ص٢٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ، ح: (٢١٧٥٣)، ج٣٦، ص٨٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل الصوم في سبيل الله، ح: (٢٨٤٠)، ج٤، ص٢٦. والخريف: السنة.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما ورد في صوم الشتاء، ح: (٨٤٥٦)، ج٤، ص٤٨٩.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، ح: (٣٤٢٠)، ج٤، ص١٦١.

أهل العلم: ولهذا كان عنده قوة البدن التي ألان الله له الحديد بها، ولقوله ﷺ: «صُومُوا تَصِحُّوا»[1].

♥ **الصـــبر:**

إنه مَن ظنَّ أنه يستطيع أن يُنجزَ عَملًا، أو يصلَ إلى درجةٍ في الدنيا أو في الآخرة دون صبرٍ؛ فقد جانبه الصواب، فلن ينال المعاليَ إلا الصابرون، ولذلك يُوَفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قد استقرت حكمته سبحانه أن السعادة والنعيم والراحة لا يُوصَل إليها إلا على جسر المشقة والتعب، ولا يُدخَل إليها إلا من باب المكاره والصبر وتحمل المشاق"[2]، وقد قال النبي ﷺ: «حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»[3]، وقال ﷺ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ»[4]؛ فالصبر ثلاثة أنواع: (صبرٌ على الابتلاء، وصبرٌ على الطاعات، وصبرٌ عن المعصية)، فـ«الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ»[5].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، ولا بد من الصبر في جميع الأمور"[6]؛ فبالصبر يُجزَى المرءُ الجنة: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢﴾ [الإنسان: ١٢]، ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡ﴾ [الرعد: ٢٤]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ

---

(١) أخرجه أبو نعيم الأصفهاني في الطب النبوي، باب تدبير الصحة وأن الصوم مصحة، ح: (١١٣)، ج١، ص٢٣٦.

(٢) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم، ج١، ص٢٢٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح: (٢٨٢٢)، ج٤، ص٢١٧٤.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٢٢٦٠)، ج٤، ص٥٢٦. وقال الألباني: صحيح.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ح: (٢٣٢٤)، ج٤، ص٥٦٢. وقال معلقا عليه: عليه: «هذا حديث حسن صحيح».

(٦) جامع الرسائل لابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ج٢، ص٣٩٣.

﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥]، ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١﴾ [المؤمنون: ١١١]، وقال ﷺ: «... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[1].

المعينات على الصبر:

١. القناعة بأنه لا بد من الصبر.

٢. تذكُّر العاقبة؛ فتلمُّح فجر الأجر يُهَوِّن ظُلمة التكاليف.

٣. تذكُّر أجره وثمرته، وبقدر ما تَتَعَنَّى؛ تنال ما تتمنَّى...

سِـنِينُ الجَهْـدِ إنْ طَالَـتْ سَـتُطْوَى ... لَهَـــا أَمَـــدٌ وَلِلأَمَـــدِ انْقِضَـــاءُ

لَنَـــا بِـــالله آمَـــالٌ وَسَـــلْوَى ... وَعِنْـــدَ الله مَـــا خَـــابَ الرَّجَـــاءُ

♥ عباداتُ السِّرِّ:

صدقة — صلاة — صيام

في خفيةٍ عن الناس... فقط لله... قال رسول الله ﷺ في حديثه عن السبعة الذين يظلهم الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله: «... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[2]... حتى أنت لا تعرف ما أنفقتَه، وفي هذا كمال الإخلاص لله وحده سبحانه...

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الاستعفاف عن المسألة، ح: (١٤٦٩)، ج٢، ص١٢٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الصدقة باليمين، ح: (١٤٢٣)، ج٢، ص١١١.



وقال ﷺ: «إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَإِنَّ صَنَائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السَّوْءِ»[1]. وقال ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ»[2].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٧١﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقال ﷺ: «تَصَدَّقُوا... وَلَا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[3]، وقال: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[4]، وقال ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[5].

ولا تكفي الصفحات في ذكر وعَدِّ أجور الصدقات الخفية وفضلها في الدارين؛ فتخيل أنَّ مجرد تبسُّمَكَ في وجه أخيك صدقة! وأن شقَّ تمرة صدقة! وكلمة طيبة تقولها صدقةً! أيعجز أحدكم أن يفعلها خفاءً؟!

وكما ذكرنا من قبل في قصة أبي نصر الصياد[6] كيف أن عبادة الخفاء لها أثر عظيم؛ فهي وقاية للقلب من الرياء والعُجب وحظِّ النفس، وتزيد من تقوى الله، ويرتقي بها العبد في درجات الإخلاص، ويسلك بها سبل النجاة.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه أحمد، ح: (٩٤٣)، ج١، ص٢٨٩.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك، باب وأما حديث محمد بن أبي حفصة، ح: (١٥١٧)، ج١، ص٥٧٦.

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب التحريض على الصدقة وإن قلّت، ح: (٧٧٤٢)، ج٤، ص٢٩٤. وفي الصحيح: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»: أخرجه البخاري في صحيحه، باب صفة الجنة والنار، ح: (٦٥٦٣)، ج٨، ص١١٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب طيب الكلام، ح: (٦٠٢٣)، ج٨، ص١١.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب في المنفق والممسك، ح: (١٠١٠)، ج٢، ص٧٠٠.

(٦) ص١٣-١٤ من هذا الكتاب.



كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يتحرون عبادات الخفاء؛ ففي يومٍ ما، وجد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ امرأةً عجوزًا تسكن وحدها في أطراف المدينة؛ فخرج في الصباح الباكر وذهب إليها ليُنظف لها بيتها، ويراعي شؤونها، وعندما وصل هناك، وجد كل شيء مرتبًا، وطعامها مطهوًّا والخبز عندها ولا ينقصها شيء؛ فسألها عن من فعل لها هذا كله؛ فقالت: رجل يأتيني كل يوم فجرًا يفعل كل هذا ويذهب. فاندهش عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وسأل نفسه: من الذي يفعل هذا؟ من هذا الذي يسبقه إلى هذا الخير؟

وراقب البيت في اليوم التالي؛ فإذا بأبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو من يأتيها ويراعيها، ويذهب من عندها قبل أن يُسفر الصبح؛ فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: رحمك الله يا أبا بكر، ما سبقك أحدٌ في خيرٍ أبدًا... وهكذا كانوا يتنافسون في عبادات الخفاء لعظم أجرها.

ومما جاء من أخبار السلف عن زين العابدين بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه بعد ما مات، وجدوا على ظهره آثارًا كالخطوط، وبعد أيام من وفاته عرفوا سبب هذه الآثار؛ فقد افتقدت بيوت الفقراء أكياس الطحين التي كانوا يجدونها أمام بيوتهم كل ليلة؛ فعلموا أنه رَحِمَهُٱللَّهُ مَن كان يحملها ليلًا إليهم، وأنَّ ما وُجد على ظهره كان من أثر هذه الأحمال... سبحان الله! لم يعلموا بأمره إلا بعد أن لقي ربه!!! طوبى لهذه الأعمال، وطوبى لهؤلاء العاملين، اللهم ارزقنا عملًا خفيًّا خالصًا لك يُرضيك عنَّا.



♥ **التدبُّر والتفكُّر في خلق الله وسننه الكونيَّة:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝١٩٠ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

♥ **الحسنات الجاريات:**

أو الصدقات الجاريات، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤]؛ فالإنفاق والتصدق في سبيل الله في الدنيا، هو سبيل نجاتك في الآخرة؛ فيكون لك أمنًا وأمانًا من الخوف والحزن، ويكون لك به نهر من الحسنات منبعه الدنيا ومصبه الميزان، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»(١).

وأبواب الحسنات الجاريات كثيرة، كبناء المساجد وما ينفع المسلمين، وسُقيا الماء، وكفالة الأيتام، وغيرها الكثير من أعمال البر... أما وإنَّ أنفعها: تعليم كتاب الله ﷻ وتحفيظه.

كما ويدخل في هذا الباب قوله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، ح: (١٦٣١)، ج٣، ص١٢٥٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح: (١٠١٧)، ج٤، ص٢٠٥٩.

ومثله من بادر بصلة رحم من قطعه، وحثَّ على هذا وأحيى هذه الفريضة، أو من رعى كبار السن ومن ليس لهم مَن يرعاهم... وهكذا...

وضع نصب عينيك دومًا هذا الحديث: «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[1].

ملحوظة:

كل الفروض والمحافظة عليها هي أوجب الأعمال وأكثرها تقربًا إلى الله تعالى، للحديث القدسي الذي ذكرناه: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ...»[2] الحديث.

♥ **أعمال البر وصنائع المعروف وواجبات منسية:**

مثل:

(١) صلة الأرحام: وعلى رأسها الوالدين، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣] - وسنقف مع هذا الباب وقفة منفصلة لاحقًا بإذن الله تعالى – ثم من هم دون الوالدين في الصلة، و«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»[3]، وقال ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[4].

ولقد يسرت التكنولوجيا الحديثة هذا الأمر، وقطعت المسافات في ثوانٍ معدودات.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، ح: (٢٦٧٠)، ج٥، ص٤١.

(٢) سبق تخريجه ص٢٠ من هذا الكتاب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح: (٢٥٥٥)، ج٤، ص١٩٨١.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ليس الواصل بالمكافئ، ح: (٥٩٩١)، ج٨، ص٦.

(٢) عيادة المريض: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[١].

وقال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ»، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا»[٢].

وقال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا»[٣]، وقال ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ الرَّحْمَةَ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا»[٤].

إن في زيارة المريض الخير الكثير، سواء في البيت أو في المشفى؛ فلا تحرم نفسك وأنت لا زلت في الدنيا من أن تجلس في خرفة الجنة، أو تُغمس في رحمة الله تعالى.

(٣) الحب في الله: جاءت أدلة كثيرة جدًّا على أجور المتحابين في الله، منها الحديث السابق عن من زار أخًا له في الله، ومنها حديث حلاوة الإيمان، وفيه: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ:... وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ...»[٥]، ومنها قول النبي ﷺ (وإن كان في الحديث ضعف): «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَوَاهِرُهَا مِنْ بَوَاطِنِهَا،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من جمع الصدقة، وأعمال البر، ح: (١٠٢٨)، ج٢، ص٧١٣.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض، وأعمال البر، ح: (٢٥٦٨)، ج٤، ص١٩٨٩.
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في زيارة الإخوان، ح: (٢٠٠٨)، ج٤، ص٣٦٥.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الجنائز، ح: (١٢٩٥)، ج١، ص٥٠١. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب حلاوة الإيمان، ح: (١٦)، ج١، ص١٢.



وبَوَاطِنُهَا مِنْ ظَوَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُتَحَابِّينَ فِيهِ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيهِ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيهِ»[1].

وقال ﷺ في الحديث الصحيح يحكي عن ربه أنه يقول: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَحَابِّينَ فِيّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَبَاذِلِينَ فِيّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي عَلَى الْمُتَزَاوِرِينَ فِيّ، وَالْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ»[2].

وقال ﷺ: «مَا أَحَبَّ عَبْدٌ عَبْدًا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَكْرَمَهُ اللهُ»[3]، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى أَمْرٍ إِذَا أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[4].

(٤) صلاة الجنازة: وفي صلاة الجنازة أجر عظيم، قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، فَإِنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، الْقِيرَاطُ مِثْلُ أُحُدٍ»[5]، وللحديث الذي ذكرناه منذ قليل عن الخمس اللاتي إن اجتمعن في امرئٍ دخل الجنة[6].

(٥) قراءة آية الكرسي: وفي فضلها قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»[7]؛ فلا يمنع من حافظ عليها عليها دُبر كل صلاة مفروضة من دخول الجنة إلا موته.

(٦) الرباط في سبيل الله: وفي فضله يقول رسول اللهﷺ: «مَنْ رَابَطَ يَوْمًا أَوْ لَيْلَةً كَانَ لَهُ كَصِيَامِ شَهْرٍ لِلْقَاعِدِ، وَمَنْ مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَجْرَى اللهُ لَهُ أَجْرَهُ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، ح: (٢٩٠٣)، ج٣، ص١٩٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب ما ذُكر في الجنة وما فيها مما أُعدّ لأهلها، ح: (٣٤١٠٠)، ج٧، ص٤٥.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، ح: (٨٦٠١)، ج١١، ص٣٢٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في إفشاء السلام، ح: (٢٦٨٨)، ج٥، ص٥٢. وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه مسلم في صحيحه، ولفظه: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»، ح: (٥٤)، ج١، ص٧٤.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها، ح: (٩٤٦)، ج٢، ص٦٥٤.

(٦) ص٤٢ من هذا الكتاب.

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من أول اسمه ميم من اسمه موسى، ح: (٨٠٦٨)، ج٣، ص٩٢.



الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ: أَجْرَ صَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَنَفَقَتِهِ، وَوُقِيَ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ، وَأَمِنَ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ»[١].

(٧) إماطة الأذى عن الطريق: سأل أبو برزة الأسلمي النبيَّ ﷺ؛ فقال: يَا نَبِيَّ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: «اعْزِلِ الْأَذَى، عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»[٢]. وقال ﷺ أيضا: «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[٣].

والأذى قد يكون شوكًا أو غُصنًا، وقد يكون بإطلاق البصر عند الجلوس في الطرقات، وإيذاء الناس بتتبع عوراتهم، أو إيذائهم برؤية ما لا يحبون أن يَرَوا من العُري والفجور وغيره، وسماع ما لا يجب سماعه من فُحش القول وبذاءة اللسان وغيرها؛ فإماطة الأذى عن المارة وإعطاء الطريق حقه، يحفظ حق كل مسلم يعبر هذا الطريق أو يمر به.

(٨) كفَّارات الذنوب: جاء في الحديث القدسي الطويل، أن ربنا تبارك وتعالى سأل النبي ﷺ؛ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الدَّرَجَاتِ وَالكَفَّارَاتِ، وَفِي نَقْلِ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغِ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ، وَانْتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٤]، وفي رواية أخرى: قَالَ تبارك وتعالى لنبيه محمد محمد ﷺ: «فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي المَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ، وَإِسْبَاغُ الوُضُوءِ فِي المَكْرُوهَاتِ، قَالَ: ثُمَّ فِيمَ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الكَلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث سلمان الفارسي، ح: (٢٣٧٢٧)، ج٣٩، ص١٣٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، ح: (٢٦١٨)، ج٤، ص٢٠٢١.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب سَقْيِ الماء، ح: (٤٢٢)، ج١، ص١٥٢.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، باب ومن سورة ص، ح: (٣٢٣٤)، ج٥، ص٣٦٧، وقال معلقا عليه: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»، وصححه الألباني.



وَالنَّاسُ نِيَامٌ. قَالَ: سَلْ. قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ المُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ المَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا ثُمَّ تَعَلَّمُوهَا»[1].

(٩) مجالس الذكر وطلب العلم: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[2]. وقال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[3].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ومن سورة ص، ح: (٣٢٣٥)، ج٥، ص٣٦٨، وقال معلقا عليه: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح: (٢٦٨٥)، ج٥، ص٥٠، وقال معلقا عليه: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح: (٢٦٩٩)، ج٤، ص٢٠٧٤.



فَكَيفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(1). وقال ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُم بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا»، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»(2). وقال ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»(3).

وكما جاء في الشعر:

تَعَلَّمِ العِلْمَ وَاجْلِسْ فِي مَجَالِسِهِ	مَا خَابَ قَطُّ لَبِيبٌ جَالَسَ العُلَمَاء
عَقْلُ الفَتَى مِمَّن يُجالِسُهُ الفَتَى	فَاجْعَلْ جَلِيسَكَ أَفْضَلِ الجُلَسَاء
والعِلْمُ مِصْبَاحُ التُّقَى لكنَّهُ	يَا صَاحِ مُقْتَبَسٌ مِن العُلَمَاء

ويكفي في فضل مجالس العلم أنها تمنعك من الذنوب والخطايا، وتذكرك بالطاعات والعبادات، وكما قال ﷺ عن أصحاب هذه المجالس: «هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ»(4).

ملحوظة:

لمجالس الذكر وتلاوة القرآن صفات لا تخرج بها عمَّا كان يفعله النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم؛ فمن أراد اجتناب الابتداع؛ فعليه بهدي النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا يخرج عنه.

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل مجالس الذكر، ح: (٢٦٨٩)، ج٤، ص٢٠٦٩.

(2) أخرجه أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (١٢٥٢٣)، ج١٩، ص٤٩٨.

(3) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، ح: (٢٦٨٥)، ج٥، ص٥٠، وصححه الألباني.

(4) أخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر البيان بأن من جالس الذاكرين الله يسعده الله بمجالسته إياهم، ح: (٨٥٧)، ج٣، ص١٣٩، وصححه الألباني.

(١٠) مساعدة المسلمين وإعانتهم على الخير: قال ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[١]، وهذا أمرٌ من الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقال ﷺ: «كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ... تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ... وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»[٢].

(١١) رعاية حقوق الأُخوَّة: عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبعٍ ونهانا عن سبع: "أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ القَسَمِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَهَانَا عَنْ: آنِيَةِ الفِضَّةِ، وَخَاتَمِ الذَّهَبِ، وَالحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالقَسِّيِّ، وَالإِسْتَبْرَقِ[٣]"[٤].

همسة:

قال أحد السلف:

"مَن أكثر من مخالطة الناس لم يسلم من الرياء...

ومن أكثر من الطعام لم يجد في عبادة الله لذة...

ومن أكثر من النوم لم يجد في عمره بركة".

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح: (٢٦٩٩)، ج٤، ص٢٠٧٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح: (١٠٠٩)، ج٢، ص٦٩٩.

(٣) (الديباج) الثياب المتخذة من الإبريسم وهو نوع من الحرير. (القسي) ثياب من كتان مخلوط بحرير. (الإستبرق) الثخين من الديباج والغليظ منه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الأمر باتباع الجنائز، ح: (١٢٣٩)، ج٢، ص٧١.



وكما أجملنا أكثر الأعمال التي قد تكون سببًا في مضاعفة الحسنات؛ فسنقف على أكثر الأعمال التي قد تكون سببًا في مضاعفة السيئات، ومنها:

(١) ترك الفروض والوقوع في الكبائر: قال رسول الله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»[1]. [للاستزادة يمكن مراجعة كتاب الكبائر للإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

(٢) إطلاق البصر والسمع للحرام: قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠﴾ [النور: ٣٠]؛ فهذه النعم خلقها الله لنا لنعبده بها، لا لنعصيه بها سبحانه العليم الخبير؛ فإطلاق البصر في الحرام يورث الحَسَرات واستعار الشهوات، ويتبعه ما لا يُرضي اللهَ من تمنّي الحرام أو الوقوع فيه، وكما قيل: فإنَّ مفتاح الزنا نظرة، وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: "ما مِن نَظْرَةٍ إلَّا وللشيطان فيها مَطمَع". وفي ذلك المعنى قصة ذكرها الإمام ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) عن رجل كان قارئًا حافظًا لكتاب الله، صوَّامًا مجاهدًا في سبيله، وبينما كان مع المسلمين في حصارهم للروم في إحدى المعارك، وقع نظره على امرأة من الروم، وأطال النظر إليها حتى وقع في هواها، فراسلها أن كيف السبيل إليها؟ فطلبت منه أن يتنصَّر ويأتيها؛ ففعل لينالها: ترك دينَه كلَّه وكفر بالله لينالها! سبحان الله! نظرة أطالها أخرجته من سعة الدنيا والآخرة إلى ضيق جهنم وعذابها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان الكبائر وأكبرها، ح: (٨٩)، ج١، ص٩٢.



ولا تنسَ: ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ فستُسأل يا مسلم عن كل نظرة، وهو الذي: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩]؛ فأعِدَّ للسؤال جوابًا.

قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تَرَى أَعْيُنُهُمُ النَّارَ: عَيْنٌ حَرَسَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ»[1]. وقال ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»[2].

(٣) أكل الربا والمال الحرام: كما جاء في حديث السبع الموبقات[3]؛ فإنها من الكبائر العظام، وقال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنْ سُحْتٍ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[4]؛ فكل ما تأكله من مالٍ حرام ونَمَى في جسدك أو جسد أبنائك فهو للنار والعياذ به.

وقال ﷺ: «الرِّبَا اثْنَانِ وَسَبْعُونَ بَابًا، أَدْنَاهَا مِثْلُ إِتْيَانِ الرَّجُلِ أُمَّهُ، وَأَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةُ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ»[5].

وذاك الذي نبت من الحرام قال عنه ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[6].

يا ألله! ما أصعب أن تخرج من معية الله ويوكِّلُك الله إلى نفسك!

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح: (١٠٠٣)، ج١٩، ص٤١٦.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث عبادة بن الصامت، ح: (٢٢٧٥٧)، ج٣٧، ص٤١٧.

(٣) ص٤٦ من هذا الكتاب.

(٤) سبق تخريجه، ص٣٣ من هذا الكتاب.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه أحمد، ح: (٧١٥١)، ج٧، ص١٥٨.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ح: (٨٩)، ج٢، ص٧٠٣.



(٤) المجاهرة بالمعصية: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ»[1].

يا ألله! كم من امرئٍ حلم الله عليه وستره، وأبى إلا أن يهتك ستر الله عليه... نعوذ بالله من الخذلان.

ملحوظة:

أختي المسلمة:

إنَّ خلعك للحجاب هو مجاهرة بالمعصية، واستدعاء منك لكشف ستر الله عنك.

(٥) سوء الخُلُق: إنه باب عظيم جدًّا تدخل فيه كل تفاصيل يوم المرء من خُلُقه في: النظرات، والكلام، واللفتات، والمعاملات... وفي كل مكان يكون فيه المرء، ومع أي إنسان، بل وحتى مع الدواب... وهذا الأمر ليس بالهين؛ فهو أثقل ما يُثقل الميزان، إما بسوء الخُلُق؛ فترجح كفة السيئات، وإما بحسن الخُلُق؛ فَيُحَلِّق بكفة الحسنات، حتى يكون الأقرب مجلسًا من النبي ﷺ، وكما قيل: "مَن فاقَكَ في الخُلُق؛ فقد فاقك في الدين".

وقيل كذلك:

إِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ ... فَإِنْ هُمُ ذَهَبَتْ أَخْلاقُهُم ذَهَبُوا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ستر المؤمن على نفسه، ح: (٦٠٦٩)، ج٨، ص٢٠.



قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فهكذا كان النبي ﷺ في دعوته ومع من حوله.

قال ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»[1]، وقال ﷺ: «لَيسَ المُؤمنُ بِالطَّعَانِ وَلَا اللعَان، ولا الفَاحِشِ ولا البَذِي»[2]، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[3].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات: ١١]، وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وكان النبي ﷺ يتعوذ كل صباح ومساء من «الجُبن والبُخل»[4] لما فيهما من دناءة النفس وخِسَّتها، وما يصحبهما من كذب وخيانة، وخُذلان واضطراب وتذبذب، وغيرها الكثير من سيء الصفات، وقال ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[5]، وفي رواية أخرى: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[6].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب «لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا»، ح: (٦٠٣٢)، ج٨، ص١٣.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب ما جاء في التمادح، ح: (٣٣٢)، ج١، ص١٧٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها، ح: (٢٥٦٣)، ج٤، ص١٩٨٥.

(٤) وذلك كما جاء في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»: أخرجه البخاري في صحيحه، باب الاستعاذة من الجُبن، ح: (٦٣٦٩)، ج٨، ص٧٩.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، ح: (٢٧٣)، ج١، ص١٠٤.

(٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ح: (٢٠٧٨٢)، ج١٠، ص٣٢٣.



وبالكلام عن حث الإسلام على مكارم الأخلاق التي أكدت الأدلة على وجوبها وفضلها؛ يتضح إنكار الشريعة لسوء الخلق وعظم إثمه.

قال ﷺ: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»(١)، وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا»(٢)، وقال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(٣)، وقال ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»(٤).

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟"(٥).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»(٦)، أليس الله عز وجل قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الحزاب: ٧١].

وقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا"(٧)؛ فكان هذا خُلُقُه ﷺ، والذي اختصرته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها عندما سُئلت عن خُلُقه ﷺ؛ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"(٨).

قال ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ»؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب طيب الكلام، ج٨، ص١١.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في معالي الأخلاق، ح: (٢٠١٨)، ج٤، ص٣٧٠.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ح: (٦٠١٨)، ج٨، ص١١.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح: (١٠)، ج١، ص١١.
(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقا، ح: (٢٣٠٩)، ج٤، ص١٨٠٤.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح: (٢٥٩٩)، ج٤، ص٢٠٠٦.
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، ح: (٦٠٣٥)، ج٨، ص١٣.
(٨) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ح: (٢٥٣٠٢)، ج٤٢، ص١٨٣.



بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[1].

وقال ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذَّنُوبَ»[2]، وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السُّوءَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَبْدٌ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[3].

(٦) الكَذِب: نهى الإسلام عن الكذب، وتكرر النهي عنه لأنه أول أبواب النفاق، قال ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[4]، وفي وفي حديث آخر عن آيات المنافق قال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[5].

وقال ﷺ عندما سُئل: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَلْ يَزْنِي الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: «قَدْ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ يَسْرِقُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: «قَدْ يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ». قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَلْ يَكْذِبُ الْمُؤْمِنُ؟ قَالَ: «لَا». ثُمَّ أَتْبَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ١٠٥][6].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، ح: (٢٤١٨)، ج٤، ص٦١٣، وقال معلقا عليه: «هذا حديث حسن صحيح»، وقال الألباني: صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند فضالة بن عبيد الأنصاري، ح: (٢٣٩٥٨)، ج٣٩، ص٣٨١.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ح: (١٢٥٦١)، ج٢٠، ص٢٩.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب علامة المنافق، ح: (٣٣)، ج١، ص١٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب علامة المنافق، ح: (٣٤)، ج١، ص١٦.

(٦) أخرجه الخرائطي في مساوئ الأخلاق، باب ما جاء في الكذب وقبح ما أتى به أهله، ح: (١٢٧)، ج١، ص٦٩.



انظر لهذا الحديث، وتأمله جيدًا:

«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»(١).

ملحوظة:

لا يوجد كذب أبيض وكذب ملون، كل الكذبِ كذبٌ

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

✓ أجاز الله تعالى الكذب في ثلاث حالات:

(١) الإصلاح بين الناس

(٢) الحرب: فالحرب خدعة

(٣) على الزوجة بمدحها لتأليف قلبها.

(٧) غياب الحياء: وبغياب الحياء: يتجرأ الإنسان على المعصية، إذ يغيب حياؤه عن الله: فيبارزه بما أنعم الله عليه من نِعَم ليعصيَه بها، وبغياب الحياء: يكثر الكذب بين الناس، وتضيع الأمانة، وتؤكل حقوق المسلمين والناس بالباطل.

قال رسول الله ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ». قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرِ المَوْتَ وَالبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الحَيَاءِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[التوبة: ١١٩] وما ينهى عن الكذب، ح: (٦٠٩٤)، ج٨، ص٢٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٢٤٥٨)، ج٤، ص٦٣٧. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد» وحسنه الألباني.



إن الحياءَ حياةٌ، ولا حياةَ بغير حياء، ألا يكفي أنه شُعبةٌ من شُعب الإيمان[1]؟! نرى من غاب حياؤه عند الباطل والجهر به، وعند الحق والوقوف معه يظهر حياؤه! إنه (الحياء المعكوس)، لا يستحي من قول ما تعف النفس عن ذكره، أو رؤية ما تستحي الفطر السوية من لَمْحِه، متغافلًا عن السميع البصير الرقيب... قال رسول الله ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[2]، وكان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها...[3] سبحان الذي وهبه هذا الخُلُق العظيم، وها نحن اليوم نرى من الجرأة على معصية الله تعالى والمجاهرة بها ما ينْدَى به الجبين، ويتعفف القلم عن ذكرها.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ"[4]، وقال مالك بن دينار: "ما عاقب الله قلب امرئٍ أشد من أن يسلبه الله الحياء"، والحياء لا يزول من القلب فجأة، ولكن تدريجيًّا... يتسلل من القلب شيئًا فشيئًا حتى يخلو من الحياء من الله جل وعلا... يتتبع خطوات الشيطان حتى يُصبح صفرًا لا حياء ولا حياة فيه.

(٨) <u>تضييع الأمانة</u>: إننا في زمانٍ قد اشتد فيه ضياع الأمانة، في العبادات، وفي الدين، وفي الودائع، وكتم الأسرار، والحُرُمات، وقد بين النبي ﷺ أنَّ تضييع الأمانة من علامات الساعة، وذلك فيما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ،

---

(١) وهو ما جاء في قوله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» الذي أخرجه مسلم في صحيحه، باب شعب الإيمان، ح: (٣٥)، ج١، ص٦٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل من استبرأ لدينه، ح: (٥٢)، ج١، ص٢٠.

(٣) وذلك كما جاء في الحديث الذي رُوي عن أبي سعيد الخدري، أنها قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ «أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا» الذي أخرجه البخاري في صحيحه، باب صفة النبي ﷺ، ح: (٣٥٦٢)، ج٤، ص١٩٠.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه أحمد، ح: (٢٢٥٩)، ج٢، ص٣٧٠.



حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[(١)].

وها نحن نعيش اليوم في زمنٍ قد وُسِّد فيه الأمر إلى غير أهله؛ فنرى من يُفتي في دين الله ﷻ بغير علم، بل من لا يُحسن قراءة فاتحة الكتاب، وتصدُّر الصغار (يوتيوبر، لاعب رياضي، ممثل...) وتأخر أهل العلم والفضل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧].

وكما جاء في حديث المنافق، أنَّ من آياته: «وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[(٢)]، وقال تعالى في مصير المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥]، نعوذ بالله من النفاق.

✓ والأمانة من صفات المؤمنين:

قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ٨﴾ [المؤمنون: ٨]، وقد جاء في الحديث قوله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[(٣)]. وقال ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ»[(٤)].

وقال ﷺ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ».

سبحان الله! مَن نقصت أمانته، نقص إيمانه!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، ح: (٥٩)، ج١، ص٢١.

(٢) سبق تخريجه ص٥٢ من هذا الكتاب.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح: (٢٦٢٧)، ج٥، ص١٧. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وكذلك الألباني.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته، ح: (٢٤٤٩)، ج٣، ص١٢٩.



كم اليوم من متصدر للإمارة ولِحُكم الناس؟! وقد قال فيها ﷺ لأبي ذر عندما سأله أن يستعمله: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»(١).

لقد كان يوصف النبي ﷺ في قومه قبل أن يُبعث فيهم بأنه "الصادق الأمين"، وبعد بعثته ﷺ وادعائهم أنه ساحر، ومجنون، وكاذب – بأبي هو وأمي- ما كانوا يضعون أموالهم وأماناتهم عند أحد غيره ﷺ، حتى أنه عندما هاجر ابتعادًا عن أذاهم له وللذين آمنوا معه ما فرَّط في هذه الأمانات، بل تركها مع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ليردها إليهم.

والأمانة كذلك كانت صفة كل الرسل عليهم السلام، الذين أدوا أمانة تبليغ الرسالة، والدعوة إلى الله وتوحيده، وكذلك كانت فيمن كان منهم في الحكم، مثل يوسف عليه السلام، إذ قال للملك: ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف: ٥٥]، أو في معاملتهم مع الناس، مثل موسى عليه السلام، الذي قالت عنه مَن سقى لها تصفه لأبيها: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦].

إن كل مسؤولٍ مسترعًى في الأمانة التي عنده، حتى الأم في بيتها؛ فقد أودعها الله نفسها ومال زوجها وأبناءه أمانة عندها ستُسأل عنها بين يدي الله، قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»(٢)، وهذه لنا وقفات معها فيما بعدُ إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ح: (٢٥٩٩)، ج٤، ص٢٠٠٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب العبد راعٍ في مال سيده، ح: (٢٥٥٨)، ج٣، ص١٥٠.



دين الله عز وجل أمانة، وحمايته وصونه ونشره مسؤولية كل مسلم، من كان بعلمه، ومن كان بماله، ومن كان بوقته، ومن كان بنفعه، ليجد للسؤال جوابًا: ﴿ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقد حمل الإنسان الأمانة: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ فمن قصَّر مع استطاعته فقد خان الأمانة.

وفي الأمانة قصص، يُخيل إليك من عظمتها وروعتها أن أبطالها لم يكونوا بشرًا!

القصة الأولى:

وهي التي ذُكرت من قبل في قصة أصحاب الصخرة[(١)]، وكان من بينهم ذاك الرجل الذي ردَّ للأجير أجرته وحفظ له أمانته وربَّاها له.

القصة الثانية:

اشترى رجل بيتًا، وبعد عدة أيام، بدأ يحرث ويمهد الحديقة لزراعتها، فإذا بجرة كبيرة تعترض فأسه؛ فأخرجها ووجدها قد مُلئت ذهبًا، فقال لنفسه: هذه لصاحب الدار الذي أخذتها منه، لا بد أن أردها إليه؛ فذهب إليه ليعطيها إليه؛ فإذا بصاحب الدار الأول يقول له: لقد بعتك الدار وما فيها، هذا رزقك. وحاول الرجل الآخر معه مرارًا أن يعطيه الجرة وهو يرفض، وظلَّا هكذا حتى مرَّ بهما رجلٌ

---

(١) ص٣٢ من هذا الكتاب، وقصة الرجل هي: «... وَقَالَ الْآخَرُ: اللهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ، فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا، فَخُذْهَا فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَسْتَهْزِئْ بِي فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا، فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللهُ مَا بَقِيَ».



ثالث؛ فسألهما عن شأنهما، فأخبراه قصتهما؛ فقال لهما: ألأحدكما ولد؟ قال الأول: نعم، وسأل الآخر: أعندك ابنة؟ قال: نعم. قال: فزوجاهما، ويكون ما وجدتما لهما. وهكذا كان كل واحد منهما حريصا على حفظ أمانة الآخر دون أن يطمع في الجرة المملوءة بالذهب.

القصة الثالثة:

كان لامرئ القيس -الشاعر المعروف- أمانة عند رجل، وكان لملك حِميَر ثأرٌ عند امرئ القيس؛ فذهب لهذا الرجل، وطلب منه أمانة امرئ القيس؛ فرفض الرجل أن يعطيَه إياها، وهدده الملك بابنه ولكنه لم ينصَع له؛ فقتل الملك ابنَ الرجل، الذي بكى ابنه وقال: لئن يُقتل ابني أحب إلي عند الله من أن أضيع أمانة أحد.

القصة الرابعة:

كان يعيش رجل مسلم في إحدى الدول الغربية، وكان كل يوم يركب حافلةً إلى عمله، ويجلس في ذات المكان، ويظل يقرأ في مصحفه حتى يصل إلى عمله؛ فيدفع النقود لسائق الحافلة، وينزل متوجهًا إلى عمله... وفي ذات يوم، بعدما نزل من الحافلة، وجد في النقود التي أعطاها له السائق ورقة نقود ذات فئة كبيرة؛ فعاد مسرعًا ليلحق بالسائق، غير أنه لم يجد الحافلة؛ فظل يبحث عن السائق ولم يذهب إلى عمله، ثم توجه إلى شركة الحافلات وسأل عن السائق؛ فوجده قد أنهى مناوبته وعاد إلى بيته؛ فطلب رقم هاتفه أو عنوان بيته، فرفضت الشركة إعطاءه أي بيانات، وخشي إن قال لهم عن السبب أن يتعرض السائق للمساءلة والمحاسبة بسبب الإهمال؛ فظل يحاول معهم، إلى أن قابل مدير الشركة الذي رفض أن يعطيه أي بيانات إلا بعد أن يخبره عن السبب؛ فأخبره أنه قد أخطأ في حسابه له عند دفع الأجرة في الحافلة، وأخذ يدافع عنه ويتحجج له بأنه كان في عجلة من



أمره مما تسبب في اضطراب السائق؛ فأخطأ في النقود، وأن هذه أول مرة له؛ فابتسم المدير وسأله: هل تخشى أن أعاقبه؟ قال: نعم. قال: لا تقلق؛ فهو قد دفع كل نقود مناوبته ولم يقصر أو يُخطئ معي لأعاقبه، وربما كان هذا راتبه الذي استلمه أمس، وسأتصل لك به الآن؛ فاتصل به وأحضره، فقال السائق للرجل المسلم: أليس هذا وقت عملك يا سيدي؟ قال الرجل: نعم، ولكن عندما وجدت أموالك معي، خشيت أن يتسبب لك هذا في مشكلة بعملك، أو تحزن أو يراودك الأرق ليلًا؛ فأردت أن أرد لك مالك؛ فابتسم السائق وقال: الحمد لله... الآن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله... لقد كنت أختبرك لأعلم مدى أمانة المسلمين، وكذلك أسلم المدير عندما رأى حرصه وأمانته.

(٩) القطيعة بين الناس: وإن من الأمانة أن تُعطَى الحقوق إلى أهلها، ومن حق المسلم على أخيه المسلم ألا يقطع صلته، وإن القطيعة لمن أكثر سمات هذا العصر؛ فعلى الرغم من سهولة التواصل بين الناس، إلا أن كثيرًا من الناس قد انقطع عن التواصل مع الآخرين منشغلًا بسعيه في تحصيل الكماليات ومظاهر الحياة الدنيا، أو متخوفًا من أن يجد حاجاتٍ لإخوانه؛ فيستيقظ ضميره وقلبه لحالهم فيقتطع لهم من وقته أو ماله؛ فيتخذ من القطيعة سبيلًا لراحة الضمير، وكأن عدم معرفته يعفيه من الإثم، بل إن بعضهم بسبب أمورٍ دنيوية دنيَّة قد يخسر إخوانه أو ذوي رحمه؛ فهذا من أجل المال، وهذا من أجل العمل، وذاك من أجل بعض الألعاب أو شيء من اللهو.

قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»... ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٢٥٠٩)، ج٤، ص٦٦٣. وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وصححه الألباني.



وإن قطيعة الرحم لمن أشد القطيعة إثمًا؛ فلا مبرر لمسلم في أن يقطع رحمه، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

سبحان الله! من قطع رحمه؛ نالت منه لعنة الله

وقال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعُ اللهَ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ[١]»[٢].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ[٣] وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»[٤].

(١٠) <u>الغضب</u>: الغضبُ هو قعرُ قاعِ سوءِ الخُلُق؛ لأنه من الشيطان، كما قال النبي ﷺ عندما استنصحه رجل؛ فقال: «لَا تَغْضَبْ»[٥] ورددها مرارًا. وقد اتصف النبي ﷺ ومدحه الله ﷻ بحسن الخُلق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، وكما ذكرنا

---

(١) بلاقع: جمع بلقع، وهي الأرض القفراء التي لا شيء فيها، والمعنى: أن الله سبحانه وتعالى يفرق شمل الحالف، ويغير عليه ما أولاه من نعمه، وقيل: يفتقر ويذهب ما في بيته من المال.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب ما جاء في اليمين الغموس، ح: (١٩٨٧٠)، ج١٠، ص٦٢. وقال البيهقي معلقا عليه: والحديث مشهور بالإرسال.

(٣) (تسفهم المل): المل هو الرماد الحار أي كأنما تطعمهم إياه، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح: (٢٥٥٨)، ج٤، ص١٩٨٢.

(٥) ونص الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لَا تَغْضَبْ». أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليهما السلام، ح: (٦١١٦)، ج٤، ص١٩٠٣.



من قبل في كلام عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عندما سُئلت عن خُلُقه ﷺ؛ فقالت: "كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"[1]، كما كان ﷺ حليمًا جدًّا، وهذا ما أشار إليه أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – كما ذكرنا من قبل[2]- في حديثه عن خُلق النبي ﷺ وقد خدمه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنين، لم يسأله فيها النبي ﷺ عن شيء لمَ فعله؟ أو لمَ لم يفعله؟ أو هلَّا فعله، وهو الذي لم يقل لخادمه أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُفًّا قَطُّ... وكان أشد غضبٍ له يُعرف في وجهه فقط، وليس بالطعن واللعن والفُحش والشجار، صلوات ربي عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»[3]، وقال ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[4]؛ فالرفق واللين والرحمة من شِيَم وصفات الأنبياء والصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ۝٧٥﴾ [هود: ٧٥]، وكان الحلم كذلك من صفات ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو جد النبي محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝١٠١﴾ [الصافات: ١٠١].

وكان الحلم هديه ﷺ حتى مع الكفار؛ فها هو يقول لهم يوم فتح مكة: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»[5]، وقد عفا ﷺ عن الأعرابي الذي جاءه بَيْنَمَا هُوَ نَازِلٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ - وَقَدْ علَّق ِالسَّيْفَ عَلَيْهَا- فَأَخَذَ السَّيْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ، ثُمّ دَنَا مِنَ النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ فَأيْقظَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّيَ اللَّيْلَهَ؟ فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: «الله»؛ فَأنْزَلَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

---

(١) ص٥٢ من هذا الكتاب.

(٢) ص٥٢ من هذا الكتاب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، ح: (١٧)، ج١، ص٤٨.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الرفق، ح: (٢٥٩٤)، ج٤، ص٢٠٠٤.

(٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، ح: (١٨٢٧٥)، ج٩، ص١٩٩.



رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة: ٦٧][(١)]، وفي رواية أخرى عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: خَرَجْنَا فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ... ثُمَّ خَرَجْنَا فَنَزَلْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ بَنِي مُحَارِبٍ، فَعَرَضَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ يُقَالُ لَهُ: غَوْرَثُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَقَلِّدٌ سَيْفَهُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَعْطِنِي سَيْفَكَ هَذَا، فَسَلَّهُ، ونَاوَلَهُ إِيَّاهُ، فَهَزَّهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ»، فَارْتَعَدَتْ يَدُهُ، حَتَّى سَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَتَنَاوَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «يَا غَوْرَثُ، مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟» قَالَ: لَا أَحَدَ، بِأَبِي أَنْتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنَا غَوْرَثًا وَقَوْمَهُ»[(٢)]... وغيرها عشرات القصص والروايات عن عفوه ﷺ وحلمه ورحمته، وهو الذي يقول: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[(٣)]، وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا»[(٤)].

لقد كان ﷺ مُتخرِّجًا من جامعة الأخلاق، وهو النبي الأمي – بأبي هو وأمي – هذه الجامعة التي قد ينجح فيها الأميون، ويرسب فيها المتعلمون.

وكان على هديه ﷺ صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وسأقص عليكم من هديهم الخبر:

❖ أمسك علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إحدى غزواته برجل فتمكَّن منه، وإذا بالرجل يبصق في وجه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فأطلقه علي، ولمَّا سُئل عن ذلك قال: كنتُ سأقتله غضبةً لله تعالى، ولكن بعدما بصق في وجهي خشيتُ أن أقتله حَمِيَّةً لنفسي؛ فأطلقته.

---

(١) أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، باب سورة المائدة، ح: (١٧٣٩)، ج٥، ص٤١١.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه مسعدة، ح: (٩١١٢)، ج٩، ص٥٢.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة المسلمين، ح: (١٩٢٤)، ج٤، ص٣٢٣.

(٤) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين، مسند محمد بن زياد عن أبي عنبة الخولاني، ح: (٨٤٠)، ج٢، ص١٩.



❖ كان معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في بعثة إلى اليمن، وقابل في يومٍ حار جدًّا أحد ملوك اليمن؛ فسأل معاويةُ الملكَ مكانًا يستظل فيه؛ فقال له: يكفيك ظل ناقتك... وبعد أن أصبح معاوية خليفةً للمسلمين، دخل عليه هذا الرجل يومًا؛ فقام له معاوية، وأجلسه مكانه، وقال له: أتذكر يوم الناقة وظلها؟ وددتُ لو أن أُجلسك فوق رأسي: هكذا كانت أخلاقهم!

❖ جيء للأحنف ابن قيس – وهو الذي يُضرب به المثل في الحِلم – بابن أخيه، وقيل له: هذا ابن أخيك وقد قتل ابنك؛ فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠﴾ [الزمر: ٣٠]، وما من أحدٍ إلا سيموت، وقَتْلُه ليس إلا بمنقصةٍ في عزوتنا؛ فإنَّ ابن الأخ كالابن، أطلِقه، وخُذ هذه ديَةُ ابني إلى أمه؛ فإنها غريبة عن الديار، ولعلها تواسيها.

فيا أخا الإسلام: إياك والغضب؛ فإنَّ أوله خُسران، وآخره ندامة وحسرة، والحِلم قوةٌ وليس ضعفًا، وقد جاء في قول النبي ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[1]، وقد قيل: (الإعْراضُ صَوْنٌ للأَعْراض).

♥ <u>المجالس واختيار الجلساء:</u>

أختم هذا الباب بمعيار لك، تعلم به موضعك من الأخلاق جيدًا، ألا وهو المجالس: هل أنت ممن يحرص على اختيار من يُجالس؟ هل أنت ممن يختار المجالس التي يقضي فيها وقته؟

اعلم رحمك الله أنَّ المجلس الذي لا يُذكر ليه الله ﷻ يكون عليك يوم القيامة حسرة وندامة كما قال ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَا يَذْكُرُونَ فِيهِ اللهَ عَزَّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الحذر من الغضب، ح: (٦١١٤)، ج٨، ص٢٨.



وَجَلَّ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ»[(١)]، وقال أيضًا: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، إِلَّا كَأَنَّمَا تَفَرَّقُوا عَنْ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً»[(٢)].

فانظر إلى كل اجتماعاتك ومجالسك: في المدرسة، والعمل، مع الأصدقاء، وفي السهرات وقضاء الأوقات مع العائلة والأقارب والأصدقاء، والمحادثات والمجموعات، ومواقع التواصل الاجتماعي... كل هذه مجالسك، وتكون إما لك أو عليك... فهل ما يدور فيها سيُسعدك يوم أن تلقى ربك؟ أم يكون عليك حسرة وندامة؟!

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقد نهى النبي ﷺ عن السمر بعد العشاء[(٣)]، إلا لراعٍ يُراعي شؤون بيته، أو بين الزوجين.

وقال ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[(٤)].

وسُئل الشافعي: هل العقل يولدُ به المرء؟ فقال: لا، ولكنه يُلقَّح من مجالسة الرجال، ومناظرة الناس.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٩٩٦٤)، ج١٦، ص٤٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٩٠٥٢)، ج١٥، ص٢١.

(٣) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا سَمَرَ بَعْدَ الصَّلَاةِ - يَعْنِي: الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ -، إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ: مُصَلٍّ، أَوْ مُسَافِرٍ». أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٣٦٠٣)، ج٦، ص٩٠.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المسك، ح: (٥٥٣٤)، ج٧، ص٩٦.



ومضات وهمسات عن حُسن الخُلُق

♥ باب للجنة: قال رسول الله ﷺ عندما سُئل عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة؛ فقال: «تَقوَى اللهِ وحُسنُ الخُلقِ»(١).

♥ بابٌ لعلو منزلتك: قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَقْرَبُكُمْ إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا»(٢).

♥ بابٌ لمحبة الله: قال ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة: ٤٢].

♥ بابٌ لمضاعفة الأجور: قال ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ، صَائِمِ النَّهَارِ»(٤).

♥ خير أعمال العباد: قال ﷺ لأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «عَلَيْكَ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، وَطُولِ الصَّمْتِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا عَمِلَ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهِمَا»(٥)، وقال ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ»(٦)، وقال وقال ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب حُسن الخُلُق إذا فقهوا، ح: (٢٨٩)، ج١، ص١٤٩.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، مسند القاسم بن عبد الرحمن بن يزيد الشامي، ح: (٧٧٣٧)، ج٨، ص١٧٧.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر البيان بأن من حسن خلقه في الدنيا كان من أحب الناس إلى الله تعالى، ح: (٤٨٦)، ج٢، ص٢٣٦.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ح: (٢٤٣٥٥)، ج٤٠، ص٤١٤.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، وترك الخوض فيه، ح: (٤٥٩١)، ج٧، ص٢٠.

(٦) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، ح: (٢٥٢٥٩)، ج٤٢، ص١٥٣.

(٧) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ح: (١١٦٢)، ج٣، ص٤٥٨.

الميـــــزان



إنَّ أصعب الذنب أوله، ثم يسهُل، ثم يُستساغ، ثم يُؤلَف، ثم يحلو، ثم يُطبع على القلب، ثم يبحث القلب عن ذنبٍ آخر ومعصية أخرى، وهكذا تكون خطوات الشيطان.

وقال الإمام الشافعي:

تَعْصِـي الإلَـهَ وَأَنْـتَ تَـزْعُمُ حُبَّـهُ هَـذَا مُحَـالٌ فـي القِيـاسِ بَـدِيعُ

لَـوْ كَـانَ حُبُّـكَ صَـادِقًا؛ لَأَطَعْتَـهُ إنَّ المُحِـبَّ لِمَـنْ يُحِـبُّ مُطِيـعُ

هل تعلم:

إنَّ أكثر بلاد الإسلام فُتِحَت بحُسن الخُلُق! فقد كان حسن خلق التجار المسلمين مفتاحَ هذه البلاد مثل ماليزيا وإندونيسيا وغيرها من بلاد ما وراء النهر، بصدقهم وأمانتهم والتزامهم بالمواعيد.

قل لمن رفع ظُلمَه فوق رؤوس العبادِ بسيفِه البتَّار

أنَّ رسولَنا بشَّرنا بِحُسن الخُلُقِ درجات قائم الليلِ صائِمِ النهار

☒ دعوها فإنها مُنْتِنَة:

هذا المرض الاجتماعي الخبيث، والفيروس الفتاك، والسرطان المدمّر للأُمم، قد حاربه الإسلام؛ لما ينتج عنه من عواقب تفرق ذات البين، وتشق الصفوف، وتؤول إلى الفرقة والتشرذم، ألا وهو التعصب.

وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين وغيرهم من سلف الأمة، ولكن لم يقع بينهم الاختلاف، ولم يتفرقوا، وقد ذكر لنا التاريخ ما حدث بين علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

ومعاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت فتنة عظيمة ونتج عنها قتال بين المسلمين، إلا أنه عندما أرسل ملك الروم لمعاوية رسالة يتودد له فيها مستغلًّا ما سمعه عن (الفتنة والاقتتال بين فئتي المسلمين)، وجد ردًّا قاسيًا وقاطعًا من معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي أعطاه درسًا مفاده: (مهما وقع بيننا؛ فإننا واحد)؛ إذ قال له: "اخسَأ عدو الله، لو شئتُ لتصالحتُ مع ابن عمي – يقصد عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وجئتك بجيشٍ أوله عندك وآخره عندي".

إنَّ تقبُّل الآخر، وتقبُّل رأيه - ما دام له أصلٌ شرعيٌّ مُستنِدٌ إلى دليل –وكم من دليلٍ فهمه الأقران باختلاف المعاني، أوَليس القرآن حمَّال أوجه؟!

قال ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا بُخِسَ الْمِيزَانُ حُبِسَ الْقَطْرُ، وَإِذَا كَثُرَ الزِّنَا كَثُرَ الْقَتْلُ وَوَقَعَ الطَّاعُونُ، وَإِذَا كَثُرَ الْكَذِبُ كَثُرَ الْهَرْجُ»[(١)].

إِذَا بُخِسَ الْمِيزَانُ ← حُبِسَ الْقَطْرُ ← قَلَّ المَطَر

وَإِذَا كَثُرَ الزِّنَا ← كَثُرَ الْقَتْلُ وَوَقَعَ الطَّاعُونُ ← انتشرت الأمراض الخبيثة

وَإِذَا كَثُرَ الْكَذِبُ ← كَثُرَ الْهَرْجُ ← القتل بسبب الفتن

بدون تعليق:

♥ رأى الفُضيل بن عياض ابنَه يمسح كفة الميزان بطرف ثوبه؛ فسألَه: لماذا؟ قال: حتى لا أزنَ للمسلمين غُبار الطريق.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، باب أما حديث أبي عوانة، ح: (٨٥٣٦)، ج٤، ص٥٤٩. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وصححه الذهبي.

الميـــــزان



♥ كان الشيخ عبد الرحمن السميط رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مهمة دعوية في إفريقيا – وقد أمضى جُلَّ حياته فيها للدعوة إلى الإسلام- وذات يوم، تعطلت به سيارته في منطقة نائية؛ فمرَّ به قِسٌّ إيطالي، وقال له: (دَع محمَّدًا يُصلحها لك) سُخريةً منه واستهزاءً به لإنكاره بعثة النبي ﷺ، ثمَّ يسَّر الله أمر الشيخ وأُصلِحت سيارتُه، وفي ذات الطريق، وجدَ الشيخُ القِسَّ واقفًا وقد تعطلت سيارته؛ فنزل له ومن معه وأصلحوها له، وصار القس خَجِلًا من سابق فعله؛ فقال له الشيخ: (هذه الأخلاق التي أمرنا بها ديننا)؛ فما كان من القس وكل من كان معه في السيارة إلا أن أسلموا.

دَعْ كلَّ مَن يراك ... يدعو لِمَن ربَّاك

قال أبو تمام في الأخلاق:

إذَا جَارَيْـــتَ فـــي خُلُـــقٍ دَنيئًـــا ... فَأَنْـــتَ وَمَـــنْ تُجاريـــهِ سَـــواءُ

ومـــا مِـــنْ شِـــدَّةٍ إلَّا سَـــيَأْتي ... لَهـــا مِـــنْ بَعْـــدِ شِـــدَّتِها رَخَـــاءُ

يَعِـيشُ المَـرْءُ مـا اسـتحْيَى بِخَيـرٍ ... وَيَبْقَـــى العُـــودُ مَـــا بَقِـــيَ اللـــحَاءُ

إذَا لَـــمْ تَخْـــشَ عاقِبَـــةَ اللَّيـــالِي ... ولَـــمْ تَسْـــتَحِ؛ فَاصْـــنَعْ مَـــا تَشَـــاءُ

وقيل في مكارم الأخلاق:

إنَّ الكِـرَامَ وَإِن ضـاقت مَعيشَـتُهم ... دَامَـــتْ فَضـــيلَتُهُم والأَصْـــلُ غَـــلَّابُ

للهِ دَرُّ أُنَـــاسٍ أ]نَمَـــا ذُكِـــرُوا ... تَطيـــبُ ســـيرَتُهُم حتـــى وَإِن غَـــابُوا

إنْ حَدَّثُوا أَحَدًا؛ فالصِّدْقُ مَنْطِقُهُم ... إنْ عَـــامَلُوهُ؛ فـــلا يَشْـــقَى وَيَرْتَـــابُ

الميــــــزان



نبضــة:

ولأنه من حق المسلم على المسلم أن ينصره في مواطن عزَّ فيها النصير، وأنت تعلم أن مِنَ المسلمين مِن حولِك في كل مكان مَن يتعرض لشتَّى أنواع الظلم؛ فعليك نصرتهم بما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولو بأضعف الإيمان:

♥ بالقلب...

أي بالدعاء لهم إن عجزت عن غيره...







الميزان الثالث: ميزانك مع نفسك

فلْتعلمْ أنك إذا حققت توازنًا مع نفسك؛ ستُحقق توازنًا مع الآخرين وفي عبوديتك لله؛ فهذا ميزانٌ إثقاله بتزكية النفس، يجعلك تتجاوز – بإذن الله – الخلل الذي يحدث عندما لا تكون غير قادر على الموازنة بين الأمور المشتركة في الامتيازات، والمختلفة في تفاصيلها وتفرعاتها وتحقيق الاتزان بينها.

مثال:

- كيف توازن بين دراستك وطلبك لعلمٍ شرعيٍّ؟
- كيف توازن بين العمل واحتياجات الأسرة؟
- كيف توازن بين الأهل والأصدقاء؟

وغيرها من الأمثلة، التي يكمُن حلها في فهم النفس جيدًا لمعرفة ما تريده، وما يتوجب عليك فعله، وما يمكنك ولا يمكنك عمله.

وتزكية النفس أمر مهم ومحوري في ديننا (أي تنقيتها وتطهيرها)، قال تعالى بعد أحد عشر قَسَمًا في سورة الشمس: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩-١٠]، وهذا يدل على أن ما جاء في جواب القسم – وهو تزكية النفس- أمر مهم.

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ۝٧٥ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ۝٧٦﴾ [طه: ٧٥-٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].



بل إن الله جل وعلا قد أرسل نبيه ﷺ لتكون التزكية من أهداف رسالته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ومن دوره ﷺ في تبليغ رسالته، أنه كان يُزكي أصحابه، ويأمرهم بالتزكية؛ فمثلا قال لهم: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[1].

فما معنى هذا الكلام؟

إن النبي ﷺ يعلمهم أنه إذا بلغ النصر في الدنيا مبلغه، وتحققت ثمار الدعوة والجهاد؛ فإنه لا زالت الغاية الكبرى لمَّا تُدرَك بعد، وأنهم لا يزالون في الدنيا، وأنه إذا فُتحت عليهم ولم ينتهِ جني الثمار؛ فجهاد النفس في السراء أصعب من جهادها في الضراء... وليعلم كل مسلم أن الغاية ليست النصر والفتح وانتشار الدعوة، بل الغاية هي رضوان الله تعالى والجنة، انظر لقوله تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩]: فلم ينتهِ دورهم عند استخلاف الأرض، بل ما يزال هناك ما بعد ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، ح: (٢٩٦٢)، ج٤، ص٢٢٧٤.

حتى إنَّ النبي ﷺ قبل وفاته – بأبي هو وأمي – قال: «... وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»[1]، وقال في حديث آخر: «إِنِّي مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي، مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا»[2].

لقد مرَّت المرحلة المكية على النبي ﷺ - وهي أطول مُدَّةً من المرحلة المدنية- ولم يكن فيها من الغزوات وغيرها من الأحداث التي كانت في المدينة، وكان يرتكز عمل النبي ﷺ في تلك الفترة على أمرين:

❖ أولهما: إعداد (تزكية) اللبنة الرئيسة لبناء المجتمع المسلم.

❖ وثانيهما: الدعوة إلى دين الله.

والتزكية لها آثار وثمار، منها:

- الصبر على المصائب وابتلاءات الدنيا؛ لأنه يعلم أن الدنيا وسيلة، والغاية هي الجنة، قال ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[3].
- يتذكر الإنسان دومًا أنه (إنسان)، وقد خلقه الله عز وجل فقط ليعبده كما أمر؛ فالكِبر والغُرور والعُجب وغيرها من أمراض القلوب تزول مع التزكية، فيشكر ربه عند المكتسبات؛ لأنه لولا الله ما كان لك شيء... أنت إنسان، لا حول ولا قوة لك إلا بالله تعالى، قال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الصلاة على الشهيد، ح: (١٣٤٤)، ج٢، ص٩١.
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الصدقة على اليتامى، ح: (١٤٦٥)، ج٢، ص١٢١.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب زيارة القبور، ح: (١٢٨٣)، ج٢، ص٧٩.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب المؤمن أمره كله خير، ح: (٢٩٩٩)، ج٤، ص٢٢٩٥.



- الثبات عند الحق وعلى الحق، بالتزكية التي تُثمر يقينًا، وتؤدي إلى الثبات:



ملحوظة:

كما أن للتزكية ثمار؛ فإن غيابها يترك في الإنسان أمراضًا قلبية ونفسية يختل معها ميزان نفسه، ومن ثمَّ تختل الموازين الأخرى، كالحسد والكبر والتشتت والفتور والنفاق...

وتزكية النفس تقوم على أمرين لا يمكن أن تكون تزكيةً بدون أحدهما:

١- **التخلية**:

بمعنى التخلي والتطهير والتنظيف والإزالة والترك، وتتحقق التخلية بالآتي:

أ) مخالفة الهوى:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]؛ فمن منع نفسه من اتباع هواه، كان هذا هو طريقه للجنة.

قال الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات: "المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المُكلَّف[١] عن داعية هواه، حتى يكون عبدا لله اختيارا، كما هو عبد لله اضطرارا"[٢]، أي أن يكون العبد محبًّا للطاعة والعبادة، مقبلًا عليهما، ولا يقوم بهما

---

(١) العبد.

(٢) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ج٢، ص٢٨٩.



لأن كلا منهما أمرٌ مفروض عليه ولا بد من أدائه، بل يقوم به خبًّا في أوامر الله عز وجل؛ لأنه يحب الله تعالى، ويُحب كل ما أمره به، ويفعله حُبًّا ورغبةً وهوًى، كما جاء في الحديث: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»[1].

ب) تنقية القلب من أمراض القلوب:

ليس المقصود تلك الأمراض العضوية التي يُحددها النبض وقوة العضلة، بل إنه هذه الروح التي تسري فيه، وتُمدُّه بأسباب الحياة؛ فكم من إنسانٍ يحيى ولا قلب له، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق: ٣٧]؛ فهناك من له قلب يحيا به، وهناك من فقده، وهذا الذي يحيى بلا قلب هو من فتكت به أمراض القلوب، ومنها:

☒ أمراض ناتجة عن شبهات: مثل الشك فيما هو معلوم من الدين بالضرورة، والنفاق، والتعلق بغير الله... قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ [النور: ٥٠]، وقال عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝٢٩﴾ [محمد: ٢٩].

☒ أمراض ناتجة عن شهوات: مثل حب النساء، والمال، والدنيا... قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، وقال عز وجل: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٨٧﴾ [التوبة: ٨٧].

---

(١) أخرجه البغوي في شرح السنة، باب رد البدع والأهواء، ح: (١٠٤)، ج١، ص٢١٣. وذكره النووي في الأربعين النووية، وقال: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. وضعفه ابن رجب الحنبلي، وقال: "تصحيحُ هذا الحديث بعيدٌ جداً من وجوه..." يُمكن مراجعتها في كتابه: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، الحديث الحادي والأربعون، ج٣، ص١١٤٥-١١٤٦.

ج- التخلي عن المثَقّلات والمثبِّطات عن العمل والطاعات:

كاللغو، وفضول النوم والكلام، ومجالس الإنترنت، وغيرها... وكان النبي يتعوذ من الكسل كل يوم صباحًا ومساءً: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ»[1]، وكان ينهى عن كثير من الإرفاء- أو الإرفاه- أي التنعُّم[2].

ملحوظة:

هذا الأمر الثالث أكثره ليس بمعصية في أصله، ولكنه يدخل في باب الغفلة التي قد تميت القلب شيئًا فشيئًا.

٢- التحلية:

وتعني النماء والازدياد والبناء والعمل، والتحلية مبناها على أمرين متكاملين ومتلازمين:

أ) أعمال القلوب:

مثل: الخوف، والرجاء، والحُب، واليقين، والتوكل، والإنابة، والإخلاص (وهو رأس الأمر)، والاعتصام، والتفويض... قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقال سبحانه: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۝٣٠﴾ [الرعد: ٣٠].

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التعوذ من المأثم والمغرم، ح: (٦٣٦٨)، ج٨، ص٧٩.

(٢) ومن ذلك ما أخرجه أحمد في المسند: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرني الجريري، عن عبد الله بن بريدة، أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فضالة بن عبيد وهو بمصر فقدم عليه وهو يمد ناقة له فقال: إني لم آتك زائرا إنما أتيتك لحديث بلغني عن رسول الله ﷺ رجوت أن يكون عندك منه علم فرآه شعثا فقال: "مَا لِي أَرَاكَ شَعِثًا وَأَنْتَ أَمِيرُ الْبَلَدِ؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَنْهَانَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْإِرْفَاهِ. وَرَآهُ حَافِيًا، فَقَالَ: "مَا لِي أَرَاكَ حَافِيًا؟ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنَا أَنْ نَحْتَفِيَ أَحْيَانًا"، ح: (٢٣٩٦٨)، ج٣٩، ص٣٨٨-٣٨٩. وقال شعيب الأرنؤوط معلقا عليه: (إسناده صحيح إن كان عبد الله بن بريدة سمعه من أحد صحابيَّيه، وإلا فهو مرسَل).



ب) أعمال الجوارح:

وهي تقوم على أمرين:

☒ أعمال فعل: كالصلاة، والصدقة، وأعمال البر، وغيرها...

☒ أعمال ترك: كغض البصر، وحفظ الفرج، وترك الخيلاء والعُجب، والظن والتجسس والغيبة، وغيرها...

ملحوظة:

إن أكثر أعمال الجوارح ترتبط في كتاب الله عز وجل بقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، وقوله جل وعلا: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، بما يدل على أن هذا الأمر يعمل على زيادة التزكية.



كيف تُصحح ميزانك مع نفسك وتُزكيها؟

١- <u>هداية توفيق من الله عز وجل</u>:

هناك من هداه الله ووفقه للإمساك بميزان نفسه، وهناك من يجب أن يلزم الدعاء لله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦].

وكان النبي ﷺ يدعو: «اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي[1]»[2]؛ فكان يدعو الله بالهداية ليتحقق السداد، قال عزوجل: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ۝٢١٣﴾ [البقرة: ٢١٣].

وحتى من مَلَّكه الله ميزان نفسه، لا غنى له عن الدعاء بالثبات، وأن يحفظ الله عليه نعمته، وكان رسول الله ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ [الإسراء: ٧٤]؛ فلا تظُنَّنَ أنَّ قدرتَك على الثبات وحفظ ميزانك بملكك، وإنما هو فضل الله عليك؛ فالزم دعاءه سبحانه بالثبات.

---

(١) سددني: أي وفقني واجعلني مصيبا في جميع أموري مستقيما، وأصل السداد الاستقامة والقصد في الأمور، وسداد السهم: تقويمه.

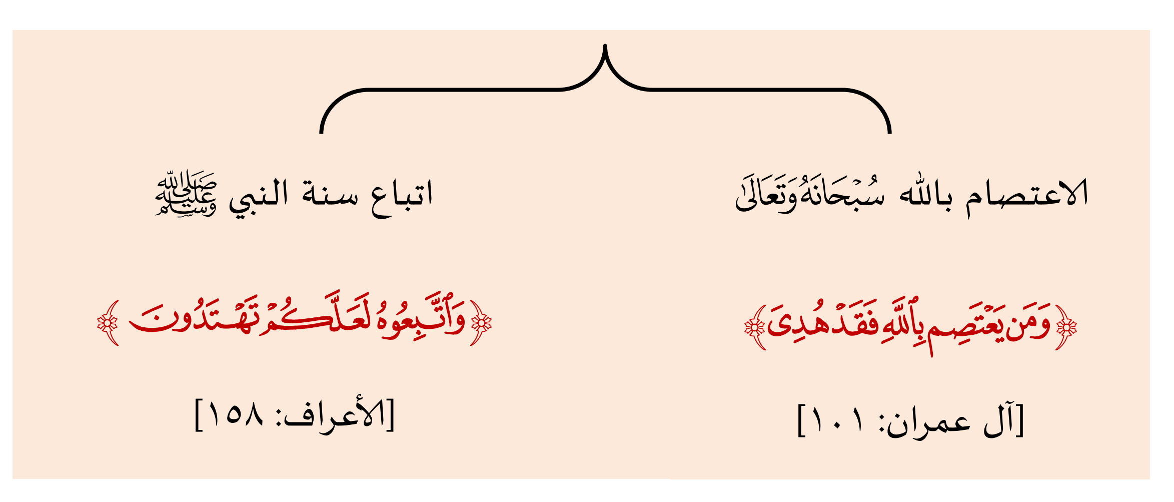
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، ح: (٢٧٢٥)، ج٤، ص٢٠٩٠. وهو من وصية النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونص الحديث بتمامه: «قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ».

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب دعوات النبي ﷺ، ح: (٦٨٣)، ج١، ص٢٣٧. وأخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ح: (٢١٤٠)، ج٤، ص٤٤٨، ونصه بتمامه: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».





وميزان طريقك يتوازن بالاستهداء بـ:



٢- اليقين بأصول وثوابت الإسلام ودوام استحضار هذه الحقائق:

كالإيمان بالله ربًّا، وبالجنة والنار، والموت والبعث، وأن الدنيا إلى زوال، وأن الله عز وجل خلق الإنس والجن ليعبدوه، وأنه علينا رقيبٌ، وبنا عليمٌ وبصير، وهكذا... ودرجة الاستحضار واليقين والتصديق بها تكون هي المؤثر في ميزانك، وبتزكيتها ترتقي يقينًا إلى درجة: ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝٥٠﴾ [الشعراء: ٥٠]؛ فلا بد من بناء يقين قوي والتأسيس له، حتى إذا ما واجهتك مشكلة أو صدمة؛ فلا تهتز لديك الثوابت، وإن وقع في إحدى كفتي ميزانك نازلة؛ فلا تنكسر رمانة ميزانك، أو تفشل في إحكامها.



لطالما كان العلم بالله جل وعلا أشرف العلوم، ولأنه علم شريف؛ فله من الفضل العظيم على من تعلمه؛ فيشرفه ويزكيه، ويزيده يقينا وإيمانًا وأقبالًا على الطاعة ونفورًا من المعصية، وهو من الثوابت الواجب تقديمها في دوام الاستحضار، ويمكنك الاطلاع على كتاب "شرح أسماء الله الحسنى" للإمام/ ابن القيم للاستفادة والاستزادة.



٣- <u>ارتقِ بنفسك عن المواطن التي لا تحب أن يراك الله جل وعلا فيها</u>:

وهي تلك المواطن التي إن رأيت نفسك فيها استحقرتها – سواء كانت قولًا أو فعلًا- فعليك بمجاهدة النفس والهوى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]:

<<< إياك والكبر والعُجب والأنا؛ فإنها مدمرات ذاتية لميزانك، وباب من أبواب النار، قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»[1]، وقيل: "ليس كل ارتفاع يأتي عن استحقاق وجدارة؛ فإن كفة الميزان ترفع الناقص".

<<< الغضب – كما سبق الحديث عنه- فهو ملاك للنفس وإحكامها وتزكيتها؛ فأكبر مشاكل خلل الميزان من الغضب.

<<< انتبه لقلبك (النفاق – الحسد- الرياء- الشرك...)، وتذكر دومًا قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩].

٤- <u>الحفاظ على حزمة الأخلاق</u>:

التي هي من أعظم روافد حفظ الميزان – كما ذكرنا من قبل- (الصدق، حسن الظن، التفاؤل، الأمانة، القناعة، الهمة والقوة والمسؤولية، الحياء والعزيمة والكرم...).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الكبر وبيانه، ح: (٩١)، ج١، ص٩٣. وهو من وصية النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ونص الحديث بتمامه: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».



٥- الصبر:

لا يُمكن أن يُتصور أن هناك عمل قد نجح، أو هدف قد تمَّ بلوغه دون صبر؛ فاعلم أن الحياة الحقيقية ليست هنا، فتصبر لهذا؛ فكما قيل: "نحن لا نتعلم بالقلم، ولكن نتعلم بالألم"، وكما قيل أيضًا: "الطريق المستقيم لن يُضيع سائقًا ماهرًا"؛ فلا بد من الصبر على مشقة الطريق.

٦- أنت بشر:

ومهما تنكبت الطريق أو تعثرت، فما دُمت تقرأ هذه الأسطر؛ فما زالت لديك فرصة، عُد إلى طريقك، ومُدَّ يدك؛ فباب التوبة مفتوحٌ ما لم تُغرغر الروح، ولم تخرج الشمس من المغرب؛ فباب ربك لا يُغلق حتى موتك؛ فأقبِل تائبًا مستغفرًا، ولو بلغَت ذُنوبك عنان السماء؛ غفرها لك إن وجدك صادقًا مُقبلًا.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]، فاعلم أن المرء سيكون على درجات متفاوتة مع نفسه، وليست متطابقة مع الآخرين، حتى الصحابة رضوان الله عليهم؛ فمنهم السابقون الأولون، ومنهم المهاجرون والأنصار، ومنهم أهل بدر وأهل البيعة، ومنهم الصديقون، ومنهم الشهداء... إذن تتفاوت موازينهم فيما بينهم؛ فاسعَ إلى المعالي:

دَقَّــاتُ قَلْــبِ المَــرْءِ قَائِلَــةٌ لَــهُ ... إنَّ الحَيَــــاةَ دَقــــائِقٌ وَثَـــوانِ

٧- اختيار الصديق:

كما أشرنا إلى ذلك سابقًا، وقال تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ [الفرقان: ٢٨]، وقال الشاعر:

وَاحْـذَرْ مِـنْ مُؤَاخَـاةِ الـدَّنِيءِ؛ فَإِنَّـهُ ... يُعْـدِي كَمَـا يُعْـدِي الصَّـحِيحَ الأَجْـرَبُ



٨- مصاحبة الحكماء والمتوازنين:

واستصحابهم سيؤثر على ميزانك، قال ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[1].

٩- الإنفاق في سبيل الله:

بالنفس والوقت والمال؛ فمن يسهُل عليه بذل نفسه لمرضات الله، والبذل ممَّا يجب لينال رضوانه؛ فهو قد ملك ميزان نفسه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]، والخير هو المال؛ فإن أنفقت مما تُحب، فأبشر بالخير والفلاح، قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ۝١٨﴾ [الحديد: ١٨].

فمن أراد أن يشعر بالسعادة الحقيقية في الدنيا سيجدها في إسعاد الآخرين، فتخيل كيف تكون السعادة في نفقة على فقير أو يتيم أو مسكين! تفرج بها همَّه وتُسدد بها حاجته، وتُدخِل عليه السرور، قال رسول الله ﷺ: «وَأَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا[2]؛ فكيف لا تشعر بالسعادة وهو يسد حاجتك لما في الآخرة؟!

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٨٤١٧)، ج١٤، ص١٤٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب اللعان، ح: (٥٣٠٤)، ج٧، ص٥٣.



تذكَّر أنه كلما أعطاك الله جل وعلا من مال، صحة، وقت... فهو رزقٌ من الله، وعليك شكره جل في علاه على هذه النعم ليحفظها لك الله ويبارك لك فيها، قال ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والله لقد أدركتُ أقوامًا ما كانوا يردون سائلًا إلا بشيء، ولقد كان الرجل منهم يخرج من بيته؛ فيأمر أهله أن لا يردوا سائلًا"، وكما أشرنا من قبل في الحديث عن السعادة، يحضرنا قول الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هم يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة".

وتأمل قوله ﷺ: «مَثَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَعْمَلُ بِهِ فِي مَالِهِ يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا وَلَمْ يُؤْتِهِ مَالًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ مَالِ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ» قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْأَجْرِ سَوَاءٌ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا وَلَمْ يُؤْتِهِ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِيهِ يُنْفِقُهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتِهِ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ مِثْلُ هَذَا، عَمِلْتُ فِيهِ مِثْلَ الَّذِي يَعْمَلُ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَهُمَا فِي الْوِزْرِ سَوَاءٌ»[2]، فالمسلم يُؤجَر على نيته الصالحة في الإنفاق؛ فاجعل حياتك لله، ولو بالنية الصالحة الصادقة.

قال رسول الله ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»[3]؛ فكيف لمن أراد الجنة والبُعد

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب العفو والتواضع، ح: (٢٥٨٨)، ج٤، ص٢٠٠١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، حديث أبي كبشة الأنماري، ح: (١٨٠٢٤)، ج٢٩، ص٥٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب اغتباط صاحب القرآن، ح: (٥٠٢٦)، ج٦، ص١٩١.



عن النار لا يكون من المنفقين في سبيل الله؟! قال رسول الله ﷺ: «... وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»[1]. وقال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[2].

وهناك ما يصحب كل منفق (من وقته وماله) في سبيل الله، وهو مدخل الشيطان الذي يسعى ليُفسد عليك عملك، وهو على بابين:

١- العُجب بالعمل:

ورؤية النفس، وما يتلوه من كبر، وقد يتبعه المَنّ والأذى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»[3].

٢- الرياء:

وقد سماه النبي ﷺ: الشرك الأصغر[4]، وهو من أكبر مداخل الشيطان في هذا الباب، ولهذا كانت صدقة الخفاء أفضل – كما ذكرنا من قبل- وقد جاء التحذير الشديد لمن استدركه الشيطان إلى هذا المنزلق، وذلك في قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ... ورَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ح: (١٥٢٨٤)، ج٢٣، ص٤٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ح: (١٤١٧)، ج٢، ص١٠٩.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية...، ح: (١٠٦)، ج١، ص١٠٢، والحديث بتمامه: عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».

(٤) وذلك كما ورد في الحديث الحسن عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ». أخرجه احمد في المسند، حديث محمود بن لبيد، ح: (٢٣٦٣٥)، ج٣٩، ص٤٣.



لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(١)]... يا رب سلِّم سلِّم.

فينبغي تحري الإخلاص والصدق، وإخلاص النية وتجديدها؛ لأن هذا الباب هو محور من محاور حياتك، لا يمكنك تركه دون أن يكون لك نصيب منه، ولا يمكنك دخوله بهوى النفس ولمجرد إرضائها اتباعًا لشهوة الشهرة ونظر الناس، وبترك القلب للشيطان ليُفسدَ عليك عملَك.

فالعمل أساسه الإخلاص لله >>> نية صالحة وصادقة >>> عمل لا عُجب فيه ولا رياء، وجهاد النفس فيه.

لن ترتدي عند موتك ثوبًا أغلى من الكفن، ولن تسكن بيتًا أوسع من القبر، ولن يفرشوا تحت جسدك أثمن الفُرُش وأوثرها، بل هو فقط الدود، ولن تملأ جيبك بالنقود؛ فلا جيب لك، فقط سيكون معك عملك: صالحًا أو غير ذلك...

١٠- حدِّدْ هَدَفَكَ وَضَعْهُ نُصبَ عَيْنَيْك:

فالكل هدفه الجنة، والجنة سلعة الله الغالية، وشراؤها بالعمل الدؤوب؛ فلو أردت شراء بيت أو ما غلا ثمنه في الدنيا، فستظل تعمل ساعاتٍ طويلة، وسنوات طوال لشرائها؛ فكيف بأغلى ما في هذا الكون؟! فالإسلام قولٌ وعمل، وسترقى بنفسك بدوام تذكُّر هدفك، وستجد أن الصعاب قد هانت، والعقبات زالت، وسيكون هدفك كالمحرِّك الذي يولِّد ويجدد فيك طاقة العمل، وحينها ستحكم ميزانك بإذن الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، ح: (١٩٠٥)، ج٣، ص١٥١٣. ونص الحديث بتمامه: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

نصيحة:

اجعل لك قسطًا من العلم الشرعي – وأكثر مما لا يسع المسلم جهله، وهذا تجده في كتاب بعنوان: "ما لا يسع المسلم جهله"- مُلِمًّا بأصوله؛ ليتكون عندك الحس السليم الذي يمكنك من وزن كثير من أمورك؛ فلا تتبع كل ذي هوى أساء فهم النصوص، أو أوّلَها بدون علم، فتزن أمورك بلا إفراط أو تفريط، ولا تكون إمَّعةً[1] أو مُتنطِّعًا[2].

همسة:

ارتقاء ميزانك يصل بك إلى درجة الإحسان والتقوى؛ فتعبد الله كأنك تراه؛ لأنك حققت في نفسك: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[3]، فارتق وانْعَم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

إشراقة:

إنَّ مَن أدرك معاني الإسلام "حقيقةً"، وعلت في قلبه حلاوة الإيمان وتذوقها؛ ستتكون لديه قيمٌ مطلقة نابعة من ضمير الفرد – ولو غاب كل تشريع وقانون

---

(١) الإمعة: من يتبع ما عليه الناس؛ فإن أحسنوا أحسن، وإن أساؤوا أساء، وإن كان اجتماعهم على حرامٍ بجعله حلالًا والعكس، وجاء تعريف الإمعة في الحديث النبوي: «لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا»، أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ح: (٢٠٠٧)، ج٤، ص٣٦٤، وضعفه الألباني.

(٢) المتنطع هو متبع الهوى مشددًا على نفسه وغيره بما لم يأمر به الله عز وجل ورسوله ﷺ، والمتنطعون - كما قال ابن الأثير-: "هم المتعمقون المغالون في الكلام، المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النِّطَع -بكسر النون وفتح الطاء- وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استُعمِل في كل تعمق قولاً وفعلا"، وقد جاء التحذير من التنطع في قول النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا. أخرجه مسلم في صحيحه، باب هلك المتنطعون، ح: (٢٦٧٠)، ج٤، ص٢٠٥٥.

(٣) وهو ما ورد من حديث جبريل في معنى الإحسان، فيما رُوي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ». قَالَ: مَا الإِسْلاَمُ؟ قَالَ: «الإِسْلاَمُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ، وَلاَ تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ». قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ البُهْمُ فِي البُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ»، ثُمَّ تَلاَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ...﴾ [لقمان: ٣٤] الآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ فَقَالَ: «رُدُّوهُ» فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ». أخرجه البخاري في صحيحه، باب سؤال جبريل النبيَّ ﷺ، ح: (٥٠)، ج١، ص١٩.



دنيوي- فإنه رقيب على نفسه في آدابه ومعاملاته؛ فيُرَى أثره مع غيره، ويرتقي بإيمانه وثباته على مبادئ دينه من أعماق قلبه؛ ليُشعَّ نورًا في خلوته مع أهله وجيرانه...

تذكِرَة:

قال رسول الله ﷺ: «اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْحَرَامِ سُتْرَةً مِنَ الْحَلَالِ، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَبْرَأَ لِعِرْضِهِ وَدِينِهِ، وَمَنْ أَرْتَعَ فِيهِ كَانَ كَالْمُرْتِعِ إِلَى جَنْبِ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي الْأَرْضِ مَحَارِمُهُ»[1]. وقال ﷺ: «الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ، فَمَنْ تَرَكَ مَا شُبِّهَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ، كَانَ لِمَا اسْتَبَانَ أَتْرَكَ، وَمَنِ اجْتَرَأَ عَلَى مَا يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الإِثْمِ، أَوْشَكَ أَنْ يُوَاقِعَ مَا اسْتَبَانَ، وَالمَعَاصِي حِمَى اللَّهِ مَنْ يَرْتَعْ حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»[2].

نبضة:

قال رسول الله ﷺ عن ربنا تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[3]، جعلنا الله ممن وُضع لهم القبول في الأرض.



---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر الأمر بمجانبة الشبهات سترة بين المرء وبين الوقوع في الحرام المحض نعوذ بالله منه، ح: (٥٥٦٩)، ج١٢، ص٣٨٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات، ح: (٢٠٥١)، ج٣، ص٥٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده، ح: (٢٦٣٧)، ج٤، ص٢٠٣٠.



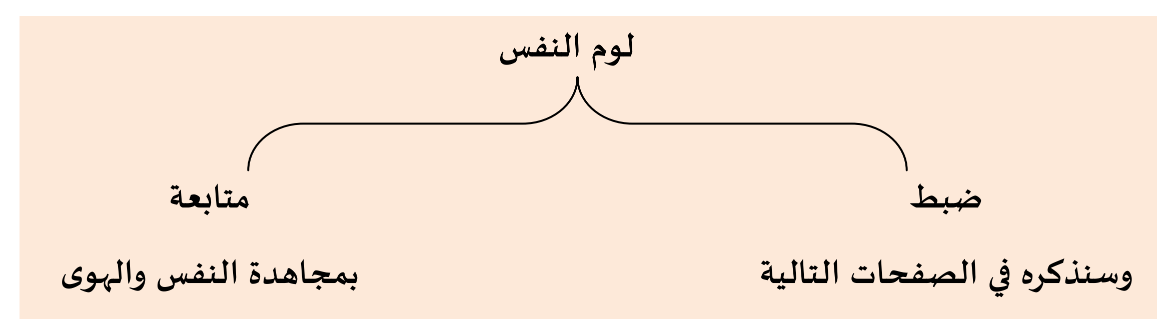
خاتمة الباب، ومقدمة للباب التالي:

لقد أتى على الإنسان حينٌ من الدهر ضاعت فيه من الإنسانية قيم الدين والعبودية الحق؛ فتشوَّهت قلوب الناس وتصوراتهم، وانحرفوا بذلك عن منهاج الميزان في حياتهم، وأصبح البعض يظن أن الدين خُشونة وغِلظة، ونسوا قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]... وأصبح اهتمامهم في الحياة بالفروع لا بالأصول، وبالأجزاء لا بالكل.

قال د. فريد الأنصاري: "لقد عورضت نصوص الكتاب والسنة معارضات غير متوازنة، وضُرب بعضها ببعض؛ فشاهت الفهوم، وكانت الكارثة، وفاتت نصوص التيسير والتبشير، وسيطرت فهوم التعسير والتنفير؛ فاختل التوازن في تدين كثير من الناس فهمًا وتطبيقًا... وغابت محاسن الدين، واختل التوازن"[1].

خلل في فهم الأصول >>> خلل في التطبيق >>> خلل في الميزان

والنفس البشرية إن لم تُلجمها بلجام التقوى، جمحت؛ فإنها عمود هذا الدين ولسانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]؛ ولذا؛ فإنها تحتاج منك دومًا لضبطها ومتابعتها:



(١) يُنظر كتاب: جمالية الدين للدكتور فريد الأنصاري.





وعملية الضبط والمتابعة ليست بالعمل اليسير، لكنه يورد الجنة، والنفيس لا يُطلب إلا بالنفيس، وندعو الله كما كان عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: "اللهم إنا لا نسألك خِفَّة الحِمل، ولكن قوة الظهر".

ومركزية هذه الموازين تتمثل في أن تنزع من رأسك النظرة المثالية لأحد من البشر قاطبة، إلا النبي ﷺ، وإنك كما تُطالَب بواجباتك نحو الخلق: فإن لك حقوقًا كفلتها لك الشريعة...





❁❁❁❁❁



الميزان الرابع: ميزانك مع ما/ مَن حولك

قلنا عن ميزانك مع نفسك أنه رمانة ميزانك، وهذا الميزان سيكون كفتي الميزان، ترجح وتختل بما تملأه فيها.

وسنبني هذا الميزان على قواعد وأسس، هي التي سيُبنَى عليها سائر الباب؛ فسنكتبها إجمالًا، ثم نفصل فيها مع كل فصل إن شاء الله.

ملحوظة:

القواعد هنا والأسس ليست مرتبة حسب أهميتها؛ فلا تفاضل بينها، بل هي جمع من أوامر الله ونهيه وأوامر النبي ﷺ ونهيه، ومن خُلُقِه وأفعالِه لترسم وتُحدد علاقتك بما/ من حولك في ظل الشريعة، لا في ظل هوى النفس.

قال تعالى:

١. ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ [الروم: ٤١].

٢. ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٣. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

٤. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]: لا إفراط، ولا تفريط.



٥. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي، فَلَا تَظَالَمُوا»[1].

٦. ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

٧. ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

٨. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ [النساء: ١٣٥].

٩. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤٢].

١٠. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩١].

١١. ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].

١٢. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾﴾ [المطففين: ١].

١٣. ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

١٤. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة: ٨].

١٥. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾ [النساء: ٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، ح: (٢٥٧٧)، ج٤، ص١٩٩٥.



١٦. ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

١٧. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ [الحجرات: ١٢]: وراء كل ما تراه حولك، مشهدٌ لم تَرَهُ.

١٨. ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾ [الأعراف: ٨٥].

١٩. ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢٠. ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦].

٢١. ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

٢٢. ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال ﷺ:

١. «النَّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»(١).

٢. «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»(٢).

٣. «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»(٣).

---

(١) أخرجه أبو الشيخ الأصفهاني في أمثال الحديث، ح: (١٦٦)، ج١، ص٢٠٣.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٨٧٣٥)، ج١٤، ص٣٤٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب نصر المظلوم، ح: (٢٤٤٦)، ج٣، ص١٢٩.

٤. «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»[١].

٥. «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[٢].

٦. «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا وَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ»[٣].

٧. «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللِّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ وَلَا الْبَذِيءِ»[٤].

٨. «أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[٥].

٩. «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[٦].

١٠. «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»[٧].

١١. «وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[٨].

١٢. «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا»[٩].

١٣. «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا»[١٠].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، ح: (٢٣٤٨٩)، ج٣٨، ص٤٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ح: (١٣)، ج١، ص١٢.

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، باب حفظ اللسان، ح: (٣٨٠)، ج١، ص١٢٨.

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب ليس المؤمن بالطعان، ح: (٣١٢)، ج١، ص١١٦.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، ح: (٥٤)، ج١، ص٧٤.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ح: (٢٥٨٦)، ج٤، ص١٩٩٩.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الهجرة، ح: (٦٠٧٦)، ج٨، ص٢١.

(٨) أخرجه أحمد في المسند، حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٢١٣٥٤)، ج٣٥، ص٢٨٤.

(٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب إجلال الكبير، ح: (٣٥٨)، ج١، ص١٣٠.

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ح: (٦٩)، ج١، ص٢٥.



١٤. «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ»[١].

١٥. «وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»[٢].

١٦. «لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»[٣].

١٧. «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وأَشْرَافِهَا، وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا»[٤].

١٨. «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[٥].

١٩. «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[٦].

٢٠. «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»[٧].

٢١. «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[٨].

٢٢. «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»[٩].

٢٣. «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»[١٠].

٢٤. «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ»[١١]، وقد قيل:

اختاروا مفرداتكم كما تختارون ملابسكم؛ فالكلام أناقة، وقال الشاعر:

فَنُــدُوبُ القَلْــبِ تَبْقَــى بَيْنَمَــا ... نُـــــدُوبُ الجَسَـــــدِ تَـــــزولُ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب كل معروف صدقة، ح: (٦٠٢١)، ج٨، ص١١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ح: (١٠٠٩)، ج٢، ص٦٩٩.

(٣) أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٩٠٣٤)، ج١٥، ص١٣.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح: (٢٨٩٤)، ج٣، ص١٣١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ح: (١٠)، ج١، ص١١.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح: (٢٥٦٤)، ج٤، ص١٩٨٦.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الرفق في الأمر كله، ح: (٦٠٢٤)، ج٨، ص١٢.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الرفق، ح: (٢٥٩٣)، ج٤، ص٢٠٠٣.

(٩) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح: (٢٥٦٤)، ج٤، ص١٩٨٦.

(١٠) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح: (٣٨١)، ج١٨، ص١٧٠.

(١١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب حفظ اللسان، ح: (٦٤٧٦)، ج٨، ص١٠٠.

٢٥. «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ»[١]، وحمل الناس على ظاهرهم: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟»[٢].

٢٦. «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[٣].

٢٧. قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[٤].

٢٨. «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[٥].

٢٩. «إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةٌ، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ»[٦].

هذا، وإن لم يكن حصرًا؛ فقد يكون فيه القواعد الكافية لتؤسس عليها معاملتك مع الناس.

ومن خبرات الناس والعلماء والحكماء، أضع بين يديك منها ما قد تظلل به ما تنقشه يداك في صفحات مَن حولك:

١. لا يصلح ذات الدواء لكل الناس.

٢. المجتمع كالحلقة؛ لكل منهم دور.

٣. الكلام مراكب الرجال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر، ح: (٦٠٦٤)، ج٨، ص١٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله، ح: (٩٦)، ج١، ص٩٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ح: (٥)، ج١، ص١٠.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الورع والتقوى، ح: (٤٢١٦)، ج٥، ص٢٩٩.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في رحمة المسلمين، ح: (١٩٢٤)، ج٤، ص٣٢٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، باب لا يتناجى اثنان دون الثالث، ح: (٦٢٨٨)، ج٨، ص٦٤.

٤. الحنين لا يُرجع غائبًا، ولكن قد يأخذ منا الحاضرين.

٥. بعض العلاقات تمر بمراحل فتور، لكن لتعود أقوى.

٦. لا تتوقع أن يحبك الجميع، حتى الأنبياء لم ينالوا هذه الدرجة.

٧. اكتُب معروفك مع الناس على الرمل لتمحوه الرياح، واكتب معروف الناس معك على الصخر لتذكره دومًا.

٨. الحُرُّ مَن حفظ وداد لحظة، وتعليم لفظة.

٩. مَن لم يحفظ مكانة الآخرين عندك، لن يحفظ مكانتك عند الآخرين.

١٠. النصيحة أمانة.

١١. وعدُ الحُرِّ دَيْنٌ.

١٢. دعنا نتفق أننا مختلفون؛ فإننا نُدير حياتَنا وفق قيم ومعتقدات وعادات أَلِفناها وتربينا عليها، حتى غدت هي كل منظوماتنا الفكرية؛ فنحكم على الآخرين باختلافهم دون أن نفهم منظوماتهم التي أنتجت عقولهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ١١٨﴾ [هود: ١١].

١٣. بعض الناس تكفيهم إشارة، وبعض الناس لا تكفيهم العِبارة.

١٤. كُن مُتّزِنًا، وتذكر أن كسب الناس أهم من كسب المواقف.

١٥. لا تكُن ممن يقترض من عِرض الناس لتردها حسناتٍ يوم فقرك.

١٦. حُسن الكلام يفتحُ لك أبواب القلوب المغلقة.

١٧. مشاكلك لك وحدك، وأدبُك للآخرين؛ فاحفظ لسانك.

١٨. ظروفك لنفسك، وتصرفاتك للآخرين، وأدِّ ما للناس.

١٩. النظر لما في أيدي الناس يُفسد علينا المتعة بما في أيدينا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]؛ فانظر لمن هم أعلى منك في الطاعات، ولمن هم دونك في الدنيا، حتى لا يتسلل إلى قلبك الحسد والسخط على رزق الله، وقد قال الشاعر:

عَـيْنُ الرِّضَـا مِـن كُـلِّ عَيْـبٍ كليلَـة ... ولكــن عــين الســخْطِ تُبــدي المَسَــاوِيَا

٢٠. لا تكن يابسًا جِدًّا؛ فتنكسر، ولا لَيِّنًا جِدًّا؛ فتُعصر.

٢١. الناظر لما في أيدي الناس يصيبُ قلبَه بسهمه قبل أن يُصيب الناس؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[1]، والحسد هو أول ذنب عُصِيَ به الله تعالى في الأرض بين قابيل وهابيل.

٢٢. قالوا قديمًا: تكسيرك مجاديف غيرك لن يزيد من سرعتك.

٢٣. قيل في الحكمة: سيد قومه المتغابي المتغافل.

٢٤. كلنا نملك نفس العين، ولكن لا نملك نفس النظرة؛ لاختلاف البديهيات والمسلمات من شخص لآخر.

٢٥. كل إنسان فيه ما تعلمه، وخفي منه أكثر مما تعلمه؛ فمُرّ هيِّنًا.

٢٦. تذكر الميزات لا فقط العيوب... تهدأ بالًا.

٢٧. الكل بشر، والبشر خطاؤون.

٢٨. عاتب أحبابك؛ فالعتاب محلاة القلوب.

٢٩. لا تحاول أن تحل مشاكلك وأنت غضبان، كمن يحاول أن يرى وجهه في صفحة الماء وهو يغلي.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الحسد، ح: (٤٢١٠)، ج٢، ص١٤٠٨.

نَبضَــة:

جاء في كتاب صغير لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسمه (الوصية الصغرى) شرح لحديث النبي ﷺ في وصيته لمعاذ بن جبل: «اتَّقِ اللهَ أَيْنَمَا تَكُونُ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»[1]، وسأقف عند قوله: "أن اسم تقوى الله يجمع فعل كل مَا أمر الله بِهِ ايجابا واستحبابا، وَمَا نهى عَنهُ تَحْرِيمًا وتنزيها، وَهَذَا يجمع: حُقُوق الله، وَحُقُوق الْعباد... وَكَذَلِكَ فِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قيل يَا رَسُول الله، مَا أَكثر مَا يدْخل النَّاس الْجنَّة؟ قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، قيل: وَمَا أَكثر مَا يدْخل النَّاس النَّار؟ قَالَ: «الأجوفان: الْفَم والفرج»[2]، وَفِي الصَّحِيح عَن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[3]؛ فَجعل كَمَال الايمان فِي كَمَال حسن الْخلق، وَمَعْلُوم أَن الايمان كُله تقوى الله، وتفصيل أصُول التَّقْوَى وفروعها لَا يحْتَملهُ هَذَا الْموضع؛ فَإِنَّهَا الدّين كُله، لَكِن ينبوع الْخَيْر وَأَصله إخلاص العَبْد لرَبه عبَادَة واستعانة... بِحَيْثُ يقطع العَبْد تعلق قلبه من المخلوقين، انتفاعًا بهم، أو عَمَلًا لأجلهم، وَيجْعَل همته ربه تَعَالَى"[4].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، ح: (٢٩٦)، ج٢٠، ص١٤٤. وأخرجه أحمد في المسند بغير جملة (اتق الله) ونصه: «يَا مُعَاذُ، أَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، ح: (٢١٩٨٧)، ج٣٦، ص٣١٣، والحديث حسن.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر البيان بأن من أكثر ما يدخل الناس الجنة التقى وحسن الخلق، ح: (٤٧٦)، ج٢، ص٢٢٤. وأخرجه الترمذي، ونصه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»، باب ما جاء في حسن الخلق، ح: (٢٠٠٤)، ج٣، ص٤٣١.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ح: (٤٦٨٢)، ج٤، ص٢٢٠، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) الوصية الصغرى لابن تيمية، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين، مكتبة دار الحميضي، دار الكتاب والسنة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٤٢-٤٤، باختصار وإيجاز.



وبعد إجمال قواعد وأسس معاملتك مع الناس، سنأتي بشيء من التفصيل، ونخص بها بعض العناصر والأمور في حياتك:

أ) ميزانك مع ما حولك:

لقد خلق الله الكون جميلًا مبهرًا محكَمًا بديعًا، والناظر لهذا الكون الفسيح، يُدرك أنه يعيش في فضاء فنيٍّ راقٍ، وآيةٍ من الجمال لا تُبارَى، وقد أعطى الله تعالى الإنسان إمكانيات وقدرات عظيمة في نفسه، وفي خلقه، ليتوافق ويتوازن مع بديع هذا الكون، الذي سخره الله تعالى لخدمة هذا الإنسان، قال تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤﴾ [التين: ٤]، وقال جل في علاه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: ١٥].

وغيرها من الآيات التي تدلُّ على تسخير هذا الكون لخدمة الإنسان، وقبل أن نستطرد في مسؤولية الإنسان نحو هذا الكون وواجبه، دعونا نتأمل قليلًا عظيم بنائه وبديع صنعه سبحانه؛ فها هي الأرض الممتدة حولك أيها الإنسان، قال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [النمل: ٦١]، سبحان الله! في قرار الأرض واستقرارها رغم عظم حجمها! فكيف إذا ابتلى اللهُ عز وجل الناس بزلزالٍ صغير؟! هذا الزلزال الذي لا ينشأ عن خروج الأرض عن مدارها حول الشمس أو أي شيء كبير بالنظر لحجم الأرض، بل هو فقط تحرك طبقة الأرض الخارجية في موضع ما من هذه المساحة الهائلة، ثمَّ؟ تُدمَّر المُدُن ويموت المئات ويتشرد الآلاف؛ فكيف بإحكام وإتقان وتدبير من يجعلها قرارًا؟!



ثم تعلو بتأمُّلِك وترتقي إلى السماء الدنيا؛ فترى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحجر: ١٦]، وقوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وتعلو... وتعلو إلى الفضاء الرحب الفسيح، الذي هو في علم الله المحيط به اتساعًا وخلقًا وإبداعًا؛ فسبحان الله!

هذه البيئة، وهذا الكون مجتمعان في توازن في صورة كونية متكاملة، تدور الأفلاك بانتظام: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٣]، بلا اضطراب، وبلا اعوجاج عن نهجٍ قويم وقواعد دقيقة لا خطأ فيها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: ١٠-١٦].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدًّا، وتدل على تكامل هذه البيئة واتزانها، فها هي دورة المياه على الأرض طبيعية منذ أن خلق الله الأرض، مع نظام حراري طبيعي يكفل حفظ الحياة بإذن الله، إلى أن امتدت يد الإنسان إلى هذا الكون بالعبث والإفساد، واستغلَّ ما منحه الله تعالى من قدرات وإمكانيات ليُفسد فيها بظلمه وجهله وعُدوانه؛ فأحال الأرض من استقرار طبيعتها إلى تغيرات وتقلبات، مثل: تغير



المناخ، وظاهرة الانبعاث الحراري، وثقب الأوزون... وحق قوله تعالى فينا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: ٤١].

اخترع الإنسان القنابل والقاذفات، وأجرى التجارب النووية والبيولوجية؛ فأهلك نفسه وغيره، وجعل طبيعة الأرض الزاخرة بالنعم مصدرًا للحروب وسفك الدماء وبث النقم.

وعودًا على بدء: ما دور الإنسان نحو هذا الكون المتزن المتكامل؟ قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [الكهف: ٧]:

(الأحسن عملا)؛ هذا هو الاختبار

قال تعالى:

﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]

لكن، هل حقًّا تعامل الإنسان مع الكون كما أمره الله تعالى؟ كلَّا؛ بل أحال الأرض الزاخرة بالنعم إلى محرقة، وأحال حياة الناس في ظل هذا النعيم إلى جحيم، وتحوَّل من غاية إعمار الأرض إلى قصفها وتدميرها، وما جلب التطور والتقدم العلمي على الإنسان إلا الوبال، بتدمير الحضارة المعنوية والمادية، ولسان حال أبنائنا: يا ليتكم تركتمونا في عصور ما قبل الصناعة، ننعم بطبيعةٍ خلقها الله جل وعلا لنا، ولم تتركونا في قمة التكنولوجيا مع أمراض السرطان والفشل الكلوي والرئوي، والكورونا والإيبولا والسارس... وما خفي كان أعظم!

وكما ذكرنا في القواعد التي أسسنا لها، أن الله عز وجل كتب الإحسان على كل شيء، حتى مع الزرع والحيوان؛ فإن ذبحته فأحسِن الذبح، وإن أطعمته فلك في



كل كبد رطبة صدقة[١]، وإن نبتت زرعة زرعتها؛ فكُلّ من أكل منها من إنسان أو حيوان أو طير لك به صدقة[٢]، حتى إذا قامت الساعة، واشتدت الأهوال، أمر رسول الله ﷺ من كان بيده فسيلة أن يزرعها[٣].

حتى مع غذائك، أسس لك دينك موازين لها، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشۡرَبُوا۟ وَلَا تُسۡرِفُوٓا۟ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝٣١﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال ﷺ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ»[٤]، وقال ﷺ: »نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ، وَإِذَا أَكَلْنَا لا نَشْبَعُ»[٥]، وقال ﷺ: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ: فَثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ نَفَسٌ»[٦].

وإذا تأملت في كل هذه الجوانب؛ ستجدها متكاملة في حلقات يرتبط بعضها ببعض، حتى تصل إلى مرحلة من التوازن.

وأختم بقوله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ[٧]»[٨].

---

(١) مأخوذ من قول النبي ﷺ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»، أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل سقي الماء، ح: (٢٣٦٣)، ج٣، ص١١١.

(٢) مأخوذ من قول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»، أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل الزرع والغرس إذا أُكِل منه، ح: (٢٣٢٠)، ج٣، ص١٠٣.

(٣) وهو قول النبي ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»، أخرجه البخاري في الأدب المفرد، ح: (٤٧٩)، ج١، ص١٦٨.

(٤) أخرجه الطبراني في معجم الشاميين، ح: (١٩٤٦)، ج٣، ص١٣٦.

(٥) من الأحاديث المشتهرة بين الناس وليس له أصل وإن كان معناه صحيحا، وورد في كتب السير المقوقس أرسل مع هديته للنبي ﷺ طبيبا، فقال له النبي ﷺ: «ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، نَحْنُ قَوْمٌ لَا نَأْكُلُ حَتَّى نَجُوعَ، وَإِذَا أَكَلْنَا لا نَشْبَعُ».

(٦) أخرجه البيهقي في الآداب، باب كراهية كثرة الأكل، ح: (٤٦٣)، ج١، ص١٨٩. وفي رواية الترمذي: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»، أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، ح: (٢٣٨٠)، ج٤، ص٥٩٠.

(٧) منار الأرض: المراد به علامات حدودها، وإفسادها من تغييره.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، ح: (١٩٧٨)، ج٣، ص١٥٦٧.



ب) ميزانك مع مَن حولك:

أبدأ بحديثٍ عظيم، يعلمك بأنك واحد من كُل، ولست كيانًا منفصلًا في هذا الكون، قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»(١).

ففي هذا الحديث تعلم أن لك دورًا مع من حولك، وأن عليك مسؤولية نحوهم، وإن لم تُحسن ضبط ذلك، ومعرفة حقوقك وواجباتك؛ فسيهلك الجميع.

وكما أسسنا من قواعد إيمانية، سنتناول غيرها بالتفصيل:

أولًا- ميزان الأبوين:

وما قدَّمناهما إلا من وحي كلام الله تعالى الذي قدمهما من دون الخلق، وقدَّم برهما والإحسان إليهما على سائر العبادات بعد توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

فإنَّ برَّ الوالدين أول المأمورات بعد التوحيد، وعقوقهما أول المحذورات بعد الشرك، وإنَّ برَّهما هو السبب الثالث لتحصيل محبة الله تعالى بعد الإيمان والصلاة، وجاءت تكملة الآية تعريفًا وإكمالا للميزان الحق لهما: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، ح: (٢٤٩٣)، ج٣، ص١٣٩.



صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤]، وبهذا ترجح كفة ميزانك مع أبويك، لا أقل من ذلك ولا تقصير عنه، وإلا فليس إلا الوقوع في "عقوق الوالدين"!

- ✓ كان أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يخشى أن يمُدَّ يدَه إلى صحفة الطعام قبل أمه خشية أن يأخذ لقمةً قد اشتهتها؛ فيكون عاقًّا لها!
- ✓ كان أحد السلف إذا قام من مجلسه بجوار أمه يقوم ببطء شديد، خشية أن يصيبها شيئا من غبار ملابسه؛ فيكون عاقًّا لها!
- ✓ وذكرنا من قبل في حديث الثلاثة أصحاب الصخرة، وكان منهم رجلٌ بارًّا بأبويه؛ فكان لا يقدم اللبن لأبنائه إلا بعد أن يقدمه لأبويه أولًا، وجاء يومًا متأخرًا، وقد نام أبواه؛ فظلَّ واقفًا عند رؤوسهما، وصغاره يتدافعون عند قدمه من الجوع، ويأبى أن يقدمهم على أبويه حتى يستيقظا ويبدأ بهما.

وهكذا كان فهم السلف الصالح للبر وتطبيقهم لما علموه من دين الله بإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، واليوم صرنا نسمع بمن يضع أبويه في دارٍ للمسنين إرضاءً لزوجه، وبتنا نرى من يؤذي والديه باللسان بل وباليد من أجل الأموال، وغيرها من القصص التي يندَى الجبين بذكرها، ويُدمي القلبَ التفكُّر بها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[١]، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب مَن أحق الناس بحين الصحبة، ح: (٥٩٧١)، ج٨، ص٢.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب بر الوالدين، ح: (٣٦٦٣)، ج٢، ص١٢٠٨. وصححه الألباني.



وقال عروة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، أي: لا يمنعهما من شيء أراداه!

هل فهمتها أيها الابن؟ هل علِمتَ بعض حقوقهما عليك؟

وقال ﷺ: «أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَبِيكَ»[١]، ورُوِيَ أَنَّ رَجُلا كَانَ فِي الطَّوَافِ حَامِلا أُمَّهُ يَطُوفُ بِهَا؛ فَسَأَلَ النَّبِيّ ﷺ: هَلْ أَدَّيْتُ حَقَّهَا؟ قَالَ: «لا، ولاَ بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ»[٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا، إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»[٣].

يظن بعض الناس اليوم أنه إذا أنفق على أبويه شيئًا يسيرًا، أو اهتم ببعض أمرهما، أنه قد بَرَّهما وأوفَى حقَّهُما... والحقيقة أنك مهما فعلت؛ فلن تُوَفِّي حقَّهُما... واحرص على أن تجبُر تقصيرَك في حقِّهما بدوام الدعاء والاستغفار لهما، ووُدِّهما في حياتهما وبعد موتهما؛ فمن أراد وصل أبيه بعد موته، فليصل إخوة أبيه وصحبه، وقال ﷺ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[٤]، وكن في هذا الأمر خلوقًا؛ فإن ذلك يستجلب لهما الدعاء بالخير:

خَيـرُ مـا وَرَّثَـتِ الرِّجـالُ بَنِـيهِمُ ... أَدَبٌ صَـالِحٌ، وَحُسْـنُ الثَّنَـاءِ

ذاكَ خَيـرٌ مِـنَ الـدَّنانيرِ والأَوْرَاقِ ... فــي يَــوْمِ شِــدَّةٍ أَوْ رَخَــاءِ

وعن عَبْدِ اللّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ، أَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: «فَهَلْ مِنْ

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب ما للرجل من مال ولده، ح: (٢٢٩١)، ج٢، ص٧٦٩، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه البزار في مسنده، مسند بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (٤٣٨٠)، ج١٠، ص٢٧٦.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل عتق الوالد، ح: (١٥١٠)، ج٢، ص١١٤٨.
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما، ح: (٢٥٥٢)، ج٤، ص٢٥٥٢.



وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلَاهُمَا، قَالَ: «فَتَبْتَغِي الْأَجْرَ مِنَ اللهِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا»[1]، وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "بِرُّ الوالدين، كفَّارةُ الكبائر".

☒ **العقوق:**

اعلَم أنَّ كتاب البر الذي تكتبه في حياتك مع أبويك، سيقرؤه عليك أبناؤك...

قيل أنَّ مَن سَدَّد النظر لأبيه ما بَرَّه؛ فكيف بمن سدد الكلمة واليد؟! قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرُ الْمُسْلِمِينَ، اتَّقُوا اللَّهَ، وَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ثَوَابٍ أَسْرَعُ مِنْ صِلَةِ رَحِمٍ... وَإِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ، وَاللَّهِ لَا يَجِدُهَا عَاقٌّ، وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ...»[2].

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ...»[3]، وقال ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رَضَا الْوَالِدَيْنِ، وسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِهِمَا»[4].

ولا شيء أكثر ألمًا من أن يكسرك الشخص الذي أمضيت عمرك له وأفنيته في بنائه؛ فلا يؤلم الشجرة فأس الحطاب، ولكن يؤلمها أنه كان غُصنًا منها، والآباء والأمهات حرموا أنفسهم من حياتهم ووقتهم وصحتهم ونومهم لأجل راحة أبنائهم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بر الوالدين وأنهما أحق به، ح: (٢٥٤٩)، ج٤، ص١٩٧٥.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه أحمد، ح: (٥٦٦٤)، ج٦، ص١٨، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، وقال: "رواه الطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن كثير الكوفي، وهو ضعيف جدا"، ج٥، ص١٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب عقوق الوالدين من الكبائر، ح: (٥٩٧٦)، ج٨، ص٤.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب عبد الله بن عمرو بن العاص، ح: (١٤٣٦٨)، ج١٣، ص٤٩٤.

وسعادتهم... فكيف لتلك الأمهات اللاتي يضخ قلبها الحب والحنان للأبناء، ثُمَّ تُجازَى بإحسانها عقوقًا ونكران؟!

قال أبو تمام:

وَإِنَّ أَوْلَى البَرَايَا أَنْ تُواسِيهِ عِنْدَ السُّرُورِ لَمَنْ وَاسَاكَ فِي الحَزَنِ
إِنَّ الكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلَفُهُمْ في المَنْزِلِ الخَشِنِ

فالإنسان النبيل لا يُنكر أصله، ولا يُقابل المعروف بالجحود، بل يتحين الفرصة ليقابل هذا المعروف بالسداد، قال ﷺ: «كُلُّ ذُنُوبٍ يُؤَخِّرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِلَّا الْبَغْيَ، وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ، أَوْ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ، يُعَجِّلُ لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَوْتِ»[1].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَطِعِ الإِلَهَ كَمَا أَمَرْ واملأْ فُؤادَكَ بِالحَذَرْ
وَأَطِعْ أَباكَ: فَإِنَّهُ رَبَّاكَ مِنْ عَهْدِ الصِّغَرْ
وَاخْضَعْ لِأُمِّكَ وأَرْضِها فَعُقوقُها إِحْدَى الكِبَرْ

هذان التاجان اللذان خلقهما الله تعالى لك نعمةً منه سبحانه وتعالى، لا يُمكن أن أوفي حقهما في بضعة أسطر، ومهما فعل الإنسان لهما؛ فلن توفي كفة الميزان حقهما عليه...

﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب البغي، ح: (٥٩١)، ج١، ص٢٠٧.



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ»، قِيلَ: مَنْ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»[1].

وقال النبي ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَهُنَّ، لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»[2].

وقال ﷺ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ»[3].

وسُئل الشافعي: أيتخاصم الرجل مع والديه؟ قال: ولا مع نعليهما.

ثانيًا- ميزان الزوج/ الزوجة:

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ»[4]، وأوضح الصحابة رضوان الله عليهم أن ذلك في الأحكام؛ فلهن مثل ما للرجال، وعليهن مثل ما عليهم [إلا ما جاء دليلٌ بتخصيص الحُكم نوعًا دون الآخر].

وقد كرم الله تعالى المرأة بالإسلام بعد أن امتهنتها الأمم السابقة؛ فأعطاها حقوقًا في مواضع لطالما حُرِمتها قبل الإسلام، كحق الحياة؛ إذ كانت البنات توأد في سن الرضاع، وكانت المرأة تُحرم الميراث، بل إن اليهود كانوا يطردون المرأة أيام حيضها من البيت، وكانت كالمتاع يرثها الورثة. كما ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في مواطن التكليف إكرامًا لها، واعترافا بقدرتها، وإرساءً لعقلها.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب رغم أنف من أدرك أبويه أو أحدهما عند الكبر، فلم يدخل الجنة، ح: (٢٥٥١)، ج٤، ص١٩٧٨.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب دعوة الوالدين، ح: (٣٢)، ج١، ص٢٥.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب بر الوالدين، ح: (٣٦٦٣)، ج٢، ص١٢٠٨. وصححه الألباني.

(٤) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ح: (٢٦١٩٥)، ج٤٣، ص٢٦٥.



وكما أوجب الإسلام على المرأة أن تستأذن الزوج، أعطاها حقوقًا لها تجب على زوجها، فالحقوق والواجبات متبادلة بين الأزواج والزوجات كُلٌّ بحسب طبيعته، لتتوازن كفتي الميزان، وتستقر بيوت المسلمين، ويهنأ أهلها بالمودة والرحمة التي جعلها الله بينهما.

هذه العلاقة التي بدأت بها الخليقة ونمت ورَبَت حتى يوم القيامة، وهي نواة المجتمع والبشرية، وأساس علاقاته كلها بعضها ببعض؛ فعلاقة الزوجين هي أساس العلاقات الاجتماعية (مبدؤها ومنتهاها)؛ فما تؤصله تلك العلاقة في أبنائك، وما يرونه بينكما ومنكما، سيكون غراسًا لهم في الغد في بيوتهم ومع الآخرين؛ لذا كانت العلاقة الزوجية مركز العلاقات التي ينبني عليها أمورٌ كثيرة لمن شاء إصلاح موازينه.

والزوجة جُعلت للزوج من نفسه ليسكن إليها؛ فهذه الحاجة الفطرية – البحث عن السكن والسكينة- لن يجدها الرجل إلا في الزوجة التي خلقها الله له من نفسه، وقد وضع الله سبحانه وتعالى – وهو أعلم بخلقه- ضوابط ومعايير وخطوطا عريضة للسير عليها في هذه العلاقة لحماية وصون هذه النواة.

وقد أسسنا بعض القواعد في العلاقات بصفة عامة، ونؤسس هنا بالمزيد منها على سبيل التخصيص:

أ- حقوق النساء على الرجال:

١- قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء: ٣٤]؛ فالقوامة مسؤولية وليست امتلاكًا، والرجل إذا أراد أن يصون بيته وزوجه؛ فعليه أن يمسك هذا الجانب بإحكام لا إفراط فيه ولا تفريط؛ فيعلم حق زوجه عليه، ويتَّبع قدوته ﷺ، وقد كان له تسع نساء في آنٍ واحد، ولا يُقصر في حق إحداهن، ولا يفرط في واجباته تجاههنّ، بل كان يحيك لنفسه



ملابسه ﷺ مع ما عنده من مسؤوليات جِسَامٍ، كتكاليف الدعوة والتبليغ والتعليم ومجاهدة أعداء الله وغيرها، إلا أنه ﷺ لم يُقصِّر في حقوق أزواجه بحجة الانشغال... وقد رزقك الله تعالى القوامة وأعطاك معها أفضلية على المرأة مقرونة بحقها عليك في الإنفاق – حتى وإن كانت غنية – فهذا حقها عليك، ولكي تكون رجلًا – لا بالضرب والإهانات- وإنما بالرحمة والمودة والتجاوز عن الهفوات، وقد خلق الله تعالى المرأة ضعيفة، ناقصة عقل ودين، لحكمته سبحانه، بينما خلق الرجل بقوة وعقل وحكمة؛ ليتكامل ويتوازن البيت بلا تناطح وبلا تساهل.

٢- وقال سبحانه تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

٣- وقال عز وجل: ﴿هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٤- وقال جل في علاه: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦].

٥- قال رسول الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[١]، وقال ﷺ: «ارْفُقْ بِالْقَوَارِيرِ»[٢]، وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[٣]، وقد قيل: "لا يُكرمهُنَّ إلا كريم، ولا يُهينهنَّ إلا لَئِيم".

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الوصية بالنساء، ح: (١٤٦٨)، ج٢، ص١٠٩١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (١٢٩٤٤)، ج٢٠، ص٢٧٤. ونص الحديث في البخاري: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَسِيرٍ لَهُ، فَحَدَا الحَادِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْفُقْ يَا أَنْجَشَةُ، وَيْحَكَ بِالقَوَارِيرِ»، باب المعاريض مندوحة عن الكذب، ح: (٦٢٠٩)، ج٨، ص٤٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب حسن معاشرة النساء، ح: (١٩٧٧)، ج١، ص٦٣٦.



٦- وقال ﷺ: «وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»[١]، وفي رواية أخرى: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»[٢]، وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ... وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...»[٣].

٧- جاء في الحديث الطويل: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ»[٤]؛ فالشيطان هو العدو الأول للإنسان، ويأبى إلا أن يخرجه من الجنة، وأن يجعله لا يَدخلها أبدا، ويسعى ليحقق هدفه، ولأنه يعلم أن البيت المسلم هو النواة الأولى التي ينبني عليها كيان الأمة؛ فإنه يسعى حثيثا لهدم هذه النواة بالتفريق بين الزوج وزوجه؛ فعلى كل رجل أن يتذكر أن هدم بيته هو أهم وأولى أهداف الشيطان، وإن رأى في زوجه خُلُقًا لا يرضاه؛ فلينظر لخلق آخر يرضيه منها؛ فهي بشر، والرجل أيضًا بشر وله أخطاؤه وعيوبه؛ فليغضُض الطَّرْفَ عن أخطائها وعيوبها، وليسعَ جاهدًا إلى الحفاظ على بيته، كي لا يتحقق هدف الشيطان في هدم بيت مسلم، وقد قيل: (نجاح الزواج يحتاج لحكماء يعرفون متى يتكلمون، ومتى يصمتون، ومتى يتغافلون).

٨- قوله تعالى: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وهذه تتمة القاعدة السابقة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب لزوجك عليك حق، ح: (٥١٩٩)، ج٧، ص٣١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب لزوجك عليك حق، ح: (٥١٩٩)، ج٧، ص٣١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب العبد راعٍ في مال سيده، ح: (٢٥٥٨)، ج٣، ص١٥٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له، ح: (١٩٦٨)، ج٣، ص٣٨.



ب- حق الزوج على الزوجة:

١- قال رسول الله ﷺ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»[1]، وقال ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

٢- قوله ﷺ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ»[3]، وهو ليس سجود عبادة، ولكن تقديرًا لمكانة الزوج.

٣- وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا»[4].

٤- وقال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ آذَانَهُمْ... وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ»[5]، وفي حديث آخر: «إِذَا بَاتَتِ الْمَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ»[6].

٥- تذكري أنَّ الأنوثة سلوك وأسلوب، لا مجرد شكل وزينة، وكما قيل: أكثرهنَّ زينةً، أقلهنَّ عقلًا.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب أفضل النساء، ح: (١٨٥٧)، ج١، ص٥٩٦، وضعفه الذهبي والألباني.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ح: (١٠٩٤)، ج٢، ص٣٣٣، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، باب في حق الزوج على المرأة، ح: (٢١٤٠)، ج٢، ص٢٤٤، وقال الألباني: صحيح.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب حق الزوج على المرأة، ح: (١٨٥٣)، ج١، ص٥٩٥، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٥) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في من أمَّ قومًا وهم له كارهون، ح: (٣٦٠)، ج٢، ص١٩٣، وقال الألباني: حسن.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، ح: (٥١٩٤)، ج٧، ص٣٠.



٦- الخِلَالُ (الأخلاق) عِطْرُ الرجال، والحَيَاءُ عِطْرُ النساء، وقد قيل: إن كانت المرأة الجميلة جَوهرة؛ فالمرأة الفاضلة كَنز.

٧- اعلمي أن علاقتك بالرجل علاقة الجزء بالكل، وعلاقة الضِّلع بالصَّدر، الذي خُلِقتِ منه، وقد قيل: المرأة الذكية، تعيش ظلًّا للرجل.

وقفة مع الرجال:

تبحث المرأة عن أمور تفتقدها لتكتمل بها؛ لأن الزواج تكامل، وليس تطابقًا، فهي تحتاج دومًا للاهتمام، وأن تشعر بمكانتها عند الرجل؛ فهي تبحث عن الحب والدفء، والحب اهتمام، والاهتمام أفعال.

قال الأصمعي: "سُئل النساء عمَّا يُردن من الرجال؛ فقالت إحداهنَّ: ضحوكًا إذا ولج، كتومًا إذا خرج، آكلًا إذا وُجِد، غير سائل عمَّا فُقِد".

وجاء في القصص عن رجلٍ من السلف، أراد أن يُطلِّق زوجه؛ فذهب إلى القاضي، ولما سُئل: لماذا تُريد أن تطلق زوجتك؟ قال: من الدياثة أن يحكي الرجل عن عرضه، وبعد أن حُكم بينهما، سأله الناس مرة أخرى؛ فقال: ليس من المروءة أن أتحدث عن عِرض غيري.

وجاء رجل إلى عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يشتكي خُلُق زوجه؛ فقال له: "إنَّ الله قد خلقهُنَّ من ضلعٍ أعوج؛ فأمسكها على ما كان فيها، ما لم تر عليها خِزيٌ من دينها".

كما جاء في الأثر عن رجلٍ من السلف احتكم وزوجُه إلى القاضي في قيمة الصداق؛ فأمر القاضي بأن تكشف المرأة عن وجهها ليتأكد من أنها زوجة الرجل؛ فأبى الرجل، وقال: لها ما طلبت ولا تكشف عن وجهها (غيرةً عليها)؛ فلمَّا رأت غيرته عليها قالت: تنازلت عن حقي لخُلقه معي.



أيها الرجل:

زوجتك عِرضُك؛ فلا تجعل منها إشهارًا بين أصدقائك؛ فهذا من الدياثة، ولا بين أهلك؛ فهذه ليست مروءة، وعاملها بمثل ما تحب أن تعاملك بمثله؛ فهذا من الإيمان.

وقفة مع النساء:

جاء في القصص، أنَّ امرأةً ذهبت إلى حكيم القرية، تسأله عن حلٍّ لوقف الخلافات بينها وبين زوجها؛ فطلب منها أن تُحضر شعرةً من ذقن قردٍ، وتأتيه بها... وبعد عدة أيام، عادت له ومعها الشعرة المطلوبة؛ فسألها: كيف حصلتِ عليها؟ فقالت: كنتُ أتودَّد للقرد في الحديقة كل يوم بطعامه المحبب، حتى اطمأنَّ وأَمِن لي، وأصبح يقترب مني ويُجالسني، فأخذت الشعرة منه خلسةً. فقال لها الحكيم: افعلي مع زوجك مع فعلته مع القرد؛ فراوديه وتوددي له، لتنالي محبته وثقته.

وهذه **أول ملاحظة** ينبغي على النساء فهمها والعمل بها، لتحقق ميزانًا زوجيًّا سعيدًا.

كما جاء في القصص، أن خلافًا وقع بين رجل وزوجته بسبب تدخل أهلها في أمورهما، فذهبا إلى القاضي ليحتكما عنده، فأمرها القاضي أن تخلع ثيابها التي جاءت بها، وترتدي في مجلس القضاء ثوبًا أعطاه لها؛ فقالت له: لا يُمكنني ذلك، أريد أن أذهب إلى مكانٍ أستتر فيه وأُبدل ملابسي؛ فأصر القاضي أنها يجب أن تفعل ذلك في مجلس القضاء، وأنها لو خرجت لانتهى الحُكم؛ فنظرت حولها، ورأت أباها وأخاها وزوجها؛ فذهبت خلف زوجها لتستتر وراءه، وبعدما فعلت ما أمرها به القاضي، ابتسم وقال: يا بنيتي، إن زوجك هو سترك الذي اخترتيه، وهو وليك، وعليك أن تسمعي له وتطيعيه (في غير معصية الله)، وأهلك لا يحق لهم أن يأخذوا ما أحله الله له.



أيتها المرأة:

اعلمي أن زوجك هو المقدم على أي بشر في طاعته – ما لم يأمرك بمعصية- فتذكري ذلك دومًا لتتوازن حياتك، وأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، أنتِ سِترٌ لزوجِك، وهو سِترٌ لك، لا تقللي من شأنه أمام أهلك، ولا تسمحي لهم بأن يكونوا سببًا للإفساد بينك وبين زوجك، وليس المقصود أن تكوني عاقَّةً لأهلك، ولكن سددي وقاربي، والمرأة عليها مسؤولية في حفظ سر زوجها؛ لأنه أمانة، وللمرأة دورٌ في حُسن التدبير وما يجلبه الزوج من قوت.

وإنَّ أكثر ما يقع بين المرأة والرجل من خلافات يكون مداره أحد هذه المحاور: الغيرة، والنفقات، وتوزيع المهام والمسؤوليات.

١- الغيرة:

هي شعور طبيعي وفطري، يحتاج لإدراك وتحكم، بلا إفراط ولا تفريط، وعمود ارتكاز الغيرة هو الاختيار الأول للزوج ولدينه، وعندما تثقين بدينه وتقواه لله عزوجل: فإنك تطمئنين من هذه الناحية، وتنضبط معك الغيرة بصورة كبيرة.

وأما عن الغيرة من الأهل؛ فتذكري أن لهم حقوقًا عليه، وأنَّه ملزمٌ بواجباتٍ نحوهم ونحوك، وأبواه مقدمان عليك شرعًا في حقوقهما؛ فكوني له عونًا في برهما، واحتسبي الأجر والثواب من الله تعالى، وحقًّا ستزداد محبتك ومكانتك في قلب زوجك ما اتسعت نفسك لبره بوالديه؛ فلا خير في رجلٍ عقَّ والديه في كِبَرِهما، أو جازى إحسانهما إليه بالإساءة إليهما، وكما يفعل معهما اليوم، سيكون دورك في الغد.

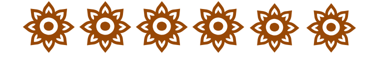


وأما عن الغيرة من باقي إخوته، وأهله وأصدقائه؛ فعالجي أمورك بحكمة، واتبعي سياسة النقاش الهادئ البناء الهادف لإيجاد الحلول، ولا تعيني الشيطان عليكما ليُفسد ما بينكما.

٢- النفقات:

للمرأة دور في حفظ ما يُدخَل من القوت، وفي حسن التدبير، وليست السعادة في كثرة الإنفاق والتباهي بالماديات، وإن كان زوجك بخيلًا؛ فقد جاءت هند بنت عتبة تشتكي بُخل زوجها للنبي ﷺ؛ فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَقَالَ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ، بِالْمَعْرُوفِ»[١]، ومعنى بالمعروف: أي بما يكفي مع الحذر من التوسع في هذا الحق الذي أجازه النبي ﷺ.

اجعلي طاعتك لزوجك من طاعة الله الذي أمرك أن تطيعي الزوج في غير معصية، وجددي نيتك من حينٍ لآخر، وستجدين أن أكثر الصعاب قد هانت ولانت بينكما، إن احتسبتِ العمل لله تعالى.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف، ح: (٥٣٦٤)، ج٧، ص٦٥.

الميـــــزان



ومضة:

أنت لا تختار أبواك ولا إخوتك، ولكنك تختار/ تختارين زوجك؛ فهذا الاختيار فيه شق لإرضاء النفس، وشقٌّ طاعة لله، وإخراج حظ النفس منه يحتاج للمجاهدة، ولا بد منها لتجاوز العقبات، وإقالة العثرات في طريقك مع شريك حياتك؛ فتُقدِّم رضا الله عز وجل على رضا النفس، فيهوّنها الله عليك؛ فرضى النفس ورضا الناس غايات لا تُدرك، قال رسول الله ﷺ: «مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»[١]، وفي رواية: «مَنِ التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ»[٢].

لحظة من فضلك!

كيف تختار/ تختارين زوجًا تحقق معه وبه ميزانك؟ لقد وضع الله عز وجل ورسوله ﷺ لنا القواعد الأساسية التي تؤسِّس عليها هذا الاختيار المحوري في حياتك، وينبني عليه مجتمعك، ثم أمَّتك... والقضية – وإن بدت شخصية- إلا أن لها أبعادً أخرى؛ لأن الرجل والمرأة جزء من نسيج المجتمع المتكامل؛ فلا ينبغي أن يكون الزواج فقط لأنه يجب أن يتزوج كما يفعل الجميع، وإنما ينبغي أن يكون له هدف، كأن يؤسس بيتًا صالحًا، يُبنى على طاعة الله، ويقوم على التوازن، فيبني مجتمعًا مسلمًا متزنًا؛ فترجح كفة ميزان الأمة، وتؤسس للأخذ بالسنن الكونية في السداد والنجاح والتمكين.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب ذكر رضاء الله جل وعلا عمن التمس رضاه بسخط الناس، ح: (٢٧٦)، ج١، ص٥١٠.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، بابٌ منه، ح: (٢٤١٤)، ج٤، ص١٨٨.



❁ <u>صدقًا</u>: النية فقط لها أجر، وإليك بعض القواعد التي يُمكنك أن تبني عليها اختيارك:

١- قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(١).

٢- وقال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»(٢).

٣- وكما ذكرنا قبل قليل، قوله ﷺ: «مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»(٣).

٤- وقال ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»(٤).

وقال الحسن البصري: كان أهل الجاهلية إذا خطب رجلٌ امرأةً، قالوا: ما حسَبُه؟ وما حسَبُها؟ ولما جاء الإسلام، صاروا يقولون: ما دينُه؟ وما دينُها، وأما اليوم؛ فيُقال: ما مالُه؟ وما مالُها؟

كما أن النبي ﷺ أوصاك باختيار الزوجة التي تصلح أن تكون أُمًّا لأبنائك؛ فضع عند اختيارك نظرة مستقبلية لما تحب أن يكون عليه بيتك وأبناؤك، ولا يقتصر نظرك على ما هو كائنٌ اليوم وزائلٌ غدًا؛ فالجمال والمال إلى زوال، ويبقى الخُلُق والدين لآخر الآجال... وقد قيل: وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة؛ فكذلك وراء كل رجل عادل متزن يزن الأمور، امرأة متزنة في أمورها ومع الآخرين.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة، ح: (١٤٦٧)، ج٢، ص١٠٩٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الأكفاء في الدين، ح: (٥٠٩٠)، ج٧، ص٧.

(٣) سبق تخريجه، ص١١٣ من هذا الكتاب.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الأكفاء، ح: (١٩٦٧)، ج١، ص٦٣٢.



ثالثا- ميزانك مع أبنائك:

قال الأحنف بن قيس – الذي يُضرب به المثل في الحِلم- عن الولد: "هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة؛ فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، فيمنحونك وُدَّهم، ويُجيبوكَ جَهدَهم، ولا تكن عليهم ثقلًا ثقيلًا؛ فيملُّوا حياتك، ويودُّوا وفاتك، ويكرهوا قُربِك".

وقال رجل لعبد الله بن المبارك أنه دعا على ابنه؛ فقال له: لقد أفسدتَه.

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يشكو إليه عقوق ابنِه؛ فأحضر عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الابن، وسأله عن سبب عقوقه لأبيه؛ فقال الابن: أليس للابن حقوق على أبيه؟ قال عمر: بلى؛ فقال الابن: وما هي؟ قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن ينتقي له أُمَّه، وأن يُحسن اختيار اسمَه، وأن يعلمه القرآن؛ فقال الابن: إنه لم يفعل من ذلك شيئًا؛ فإنَّ أمي كانت من المجوس، وسماني جعلًا (جُعرانًا) ولم يعلمني حرفًا من الكتاب؛ فقال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للرجل: لقد عققتَ ولدك قبل أن يعقَّك.

فهذه من حقوق الأبناء على الآباء، وكما نطالبهم ببر الآباء، ينبغي على الآباء أن يبروا بهم أولًا.

ومن الآباء من لا يُفرق بين إعالة الطفل وتربيته؛ فالإعالة قد تكون حتى مع البهائم – أعزكم الله- لكن التربية ودورها في بناء الأبناء؛ فكما سبق وذكرنا: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»[(١)].

ولا تجعل الاستغراق في الحياة المادية يُنسيك دوركَ كأب - وكذلك دوركِ كأُم - في تربية ورعاية أطفالك، والحرص على أن تغرس فيهم ما تُحب أن تلقى الله عز وجل وهو في صحيفة أعمالك صدقةً جاريةً عنك لهم ولذرياتهم من بعدك... انظُر إلى دعوة إبراهيم عَلَيْهِٱلسَّلَامُ لله جل وعلا؛ فقد جعل الله من ذريته إلى قيام الساعة مقيمي الصلاة ومتبعي ملته الحنفية وسمانا بالمسلمين؛ فتخيل نفسك وقد

---

(١) سبق تخريجه، ص١١٢ من هذا الكتاب.



علَّمتَ ابنك خيرًا في دينه ودنياه، ثم أصبح مُعلِّمًا للخير هذا؛ فكم سيكون أجرك؟! والعكس صحيح، انظُر لو أنك قصَّرتَ أو تغافلتَ ونشأ ابنك على غير منهجية سوية، أين سيكون هو وأين سيضعك؟!

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[١].

وقد قيل:

ما علَّمتُم أولادَكم مفهومًا خاطئًا...

إلا وقد هدمتم في المقابل مفهومًا صحيحًا!

إنَّ الأم هي المدرسة الأولى، والوُسطَى، والأخيرة للطفل، هي قدوته ومربيته ومُلهمته؛ فدورها كما قال حافظ إبراهيم:

الأُمُ مَدْرَسَــــــــةٌ إذا أَعْـــــــدَدْتَهَا أَعْـــدَدْتَ شَــعْبًا طَيِّـــبَ الأَعْـــراقِ

لو احتسبتِ في كل لحظةٍ منذ زواجك، ثم فترة حمل الطفل، ثم ولادته وإعالته وتربيته ليكون هذا الابن أو هذه البنت لله عز وجل، وليكونوا لك من أبواب دخول الجنة، وصدقات عنك جارية، وليكونوا نفعًا للإسلام والمسلمين؛ فأسأل الله أن يكتب لكِ أجركِ، وهكذا تكون تربية الأبناء متوازنة على الوجه الذي يُرضي الله جلَّ في عُلاه.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ[٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، ح: (١٠١٧)، ج٢، ص٧٠٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب فضل الإحسان إلى البنات، ح: (٢٦٣١)، ج٤، ص٢٠٢٧.



رابعًا- ميزانك مع أهلك/ أقاربك/ رحمك/ جيرانك:

على ما أسسناه من قواعد؛ فإن لهذا الباب قواعد تميزه، تُضاف إلى ما سبق:

١- قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥]؛ فقد جعل الله عز وجل مكانة الأقربين في النفقة بعد الوالدين، وقال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦].

٢- قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦].

والآيات بالأمر بإيتاء ذوي القربى حقوقهم كثيرة جدًّا جدًّا في القرآن الكريم، وما الكثرة والتكرار إلا لأهمية الأمر ووجوب العمل بما في هذه الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾﴾ [النساء: ٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الروم: ٣٨].

٣- قال رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَرِّثُهُ»[(١)].

٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «قَضَى النَّبِيُّ ﷺ بِالشُّفْعَةِ فِي كُلِّ مَالٍ لَمْ يُقْسَمْ؛ فَإِذَا وَقَعَتِ الحُدُودُ وَصُرِّفَتِ الطُّرُقُ فَلاَ شُفْعَةَ»[(٢)]، وعند ابن أبي شيبة: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالشُّفْعَةِ لِلْجِوَارِ»[(٣)]، وقال ﷺ: «الْجَارُ أَحَقُّ بِشُفْعَةِ جَارِهِ، يَنْتَظِرُ بِهَا إِنْ كَانَ غَائِبًا، إِذَا كَانَ طَرِيقُهُمَا وَاحِدًا»[(٤)]، وقال ﷺ: «وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ» قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»[(٥)].

٥- وقال ﷺ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَالصَّدَقَةُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ»[(٦)].

٦- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ»[(٧)]، وقد قالها ﷺ في هذه الآية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

٧- وقال ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»[(٨)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ح: (٢٤٩٤٢)، ج٤١، ص٤١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، باب بيع الأرض والدور والعروض مشاعا غير مقسوم، ح: (٢٢١٤)، ج٣، ص٧٩.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، باب مَن كان يقضي بالشفعة للجار، ح: (٢٢٧١٦)، ج٤، ص٥١٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه، باب الشفعة بالجوار، ح: (٢٤٩٤)، ج٢، ص٨٣٣.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه، ح: (٦٠١٦)، ج٨، ص١٠.

(٦) أخرجه أحمد في المسند، حديث سلمان بن عامر، ح: (١٦٢٣٣)، ج٢٦، ص١٧١.

(٧) أخرجه أبو داود في سننه، باب في صلة الرحم، ح: (١٦٩٤)، ج٢، ص١٣٣.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ليس الواصل بالمكافئ، ح: (٥٩٩١)، ج٨، ص٦.



٨- وقال ﷺ عندما سُئل: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: «ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ»[1].

تأمل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١﴾ [الرعد: ٢١]، وستعلم أن صلة الرحم ليست مجرد كماليات في الدين، وإنما هي مما يُجاهِدُ الإنسانُ به نفسَه ليقوم بحقها.

إن الميزان مع أقاربك وجيرانك يعتمد على فن المسافات؛ فاحفظ بينك وبينهم مسافات حسب حالك عندهم، فلا تبتعد حد التجمُّد، ولا تقترب حد الاحتراق... واحرِص على مداومة صلة أهل البر والطاعات منهم، وبهذا تحفظ ميزانك نحوهم... كُن معهم بارًّا بالدعاء لهم، وبدعوتهم وهدايتهم وإرشادهم؛ فهذا حقهم عليك كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤].

همســـة:

سُئل العباس بن عبد المطلب: مَن أكبر؟ أنتَ أم النبي ﷺ؟ فقال: "هو أكبر مني ولكني وُلدت قبله" >>> وهكذا يكون إنزال الناس منازلهم.

(١) أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده، حديث رجل من خثعم لم يُسمَّ، ح: (٦٨٣٩)، ج١٢، ص٢٢٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة"، ج٨، ص١٥١، وذكره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٢).

الشـورى:

قال تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الشورى: ٣٨]، وقد أمر الله تعالى النبي ﷺ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩] لما في هذا الأمر من تأليفٍ للقلوب وإيرادٍ للنفع؛ فهو – ومَن هو- الموحَى إليه، إلا أنه يعلمنا ويضع لنا الأسس في حياتنا، ومنها الشورى، قال تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل: ٤٣].

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[(١)].

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَن شاور الناس، شاركَهم عُقولَهم"، وقال: "مَن أُعجِبَ برأيه ضل، ومن استغنَى بعقله ذلّ"؛ فاعلم أنك إذا شاورت العاقل صار لك عقلان، والشيوخ وكبار السن أكثر حكمة من الشباب؛ فقد مرت عليهم عُيون العمر واختلاف الخَبَر، ومما قيل في الشورى والمشورة:

- قال هارون الرشيد: "مَن شاورَ؛ كثُر صوابُه".
- الأحمق من قطَعَه العُجبُ بنفسه عن استشارة غيره.
- مَن شاورَ أهل النصيحة؛ فقد سلم من الفضيحة.

أقرِن برأيِك رَأْيَ غَيْرَك وَاسْتَشِرْ ... فَالحَقُّ لا يَخْفَى عَلى اثْنَيْنِ
لِلْمَرْءِ مِرْآةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ ... وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ مِرْآتَيْنِ

❁❁❁

ما اسْتُنْبِطَ الصَّوابُ كَما المُشاوَرَة ... فانْظُرْ وشاوِرْ، واحْذَرِ المُخاطَرَة

❁❁❁

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الدين النصيحة، ح: (٥٥)، ج١، ص٧٤.



خامسًا- ميزانك مع المخالف:

هناك فرق بين المخالف والعدو، ولكن بسبب استمرار حالة الخلل في الميزان التي نحياها اليوم، تصاعدت نبرة الاستعداء، حتى أصبح كل مَن يُخالف عدُوًّا، وهذا مما يتنافَى مع قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾[المائدة: ٨]؛ فضاع الصديق بإلباسه لباس العدو، وضاع الحق، وانتفش الباطل.

تدبر قولَه تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، إنْ وصل الخلاف إلى حد الاقتتال؛ فهذا لم يُخرج المقتتلين من دائرة الإيمان كما سماهم الله تعالى؛ فأول واجب هو الإصلاح بينهم؛ لأنهم وإن اختلفوا، فلا تزال تربطهم رابطة الإيمان وعُرى الإسلام.

وكما ذكرنا من قبل في قصة امرئ القيس واليهودي الذي أُودِعت عنده الأمانة، ولم يمنعه اختلافه في دينه مع امرئ القيس أن يحفظ له أمانته، وافتدى بها ابنه.

اغضُض الطَّرْفَ عن كل إساءة، واصنع من حجارتهم التي يقذفونك لها جسرًا للمرور إلى نجاتك في الدنيا والآخرة... خُذ حسناتهم وتنازل عن سيئاتك، وقديمًا كانوا يقولون لمن سَبَّهم: "الحمد لله على حسناتٍ لا رياء فيها ولا سُمعَة"، وقد قيل:

فَـإنْ بُلِيـتَ بِشَـخْصٍ لا خَـلَاقَ لَـهُ ... فَكُـنْ كَأَنَّـكَ لَـمْ تَسْـمَعْ ولَـمْ يَقُـلِ

واعلم أنَّ العُنفَ هو حيلة العاجز، وأن اللباقة هي وسيلة الموزون، وقال معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "لا أَضعُ سيفي حيث يكفيني سوطي، ولا أضعُ سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أنَّ بيني وبين الناس شعرة لما انقطعت". قالوا: كيف؟ قال: "إذا جذبوها أرخيت، وإذا أرخوها جذبت".



واعلم أنَّ أفعالنا تستخرج أسوأ ما في الناس أو أحسن ما فيهم، وإذا صنعت معهم الخير؛ لا لأنهم يستحقونه، ولكن لأنك أهلٌ لذلك... فمن ملك ميزانه مع مخالفيه، هو مَن تجنَّبَ الخصومات لا مَن خاضها، ويسهُل إيراد القوة، والقوة في إدارة موضعها.

قيل عن الصراخ والصياح حكمتان:

- الدجاجة عندما تبيض تصيح، ويعلم الناس كلهم أنها تبيض بيضةً واحدة، والنمل يجمع مؤونة الشتاء كاملة، ولا يُسمع له صوت.
- الطبل هو أعلى الآلات الموسيقية صوتًا؛ لأنه [أجوف] وكذلك الأجوف من الناس، وكما قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا النَّاسُ كَالإِبِلِ المِائَةِ، لاَ تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً»[1].

قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يُخَاطِبُني السَّفِيهُ بِكُلِّ قُبْحٍ ... وَأَكْرَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ مُجيبَا
يَزِيدُ سَفاهَةً، فَأَزِيدُ حِلْمًا ... كَعُودٍ زادَهُ الإحْراقُ طِيبَا

وقال أمير الشعراء:

وَإِنْ كُنتَ تَطْلُبُ رُتْبَةَ الأَشْرافِ ... فَعلَيكَ بالإحْسانِ وَالإنْصافِ
وإذا اعْتَدَى خِلٌّ عَليكَ فَخَلِّهِ ... والدَّهْرُ؛ فَهْوَ لَهُ مُكافٍ كافِ

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قالُوا سَكَتَّ وَقَدْ خُوصِمْتَ، قُلتُ لَهُم ... إنَّ الجَوابَ لِبابِ الشَّرِّ مِفْتاحُ
فَالعَفْوُ عَنْ جاهِلٍ أو أَحمَقٍ أَدَبٌ ... وَنِعَمٌ، فيهِ لِصَوْنِ العِرْضِ إصلاحُ
إنَّ الأُسودَ لَتُخْشَى وَهْيَ صامِتَةٌ ... والكَلبُ يَخسَى إذ يُرمَى وَهْوَ نَبَّاحُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب رفع الأمانة، ح: (٦٤٩٨)، ج٨، ص١٠٤.





﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ



[الأعراف: ٨٩]



الكبار إذا ملكوا عَفَوا،

وتظهر معادنهم وقت الخصومة؛

فالكل في الرخاء سواء،

وإذا ما اختلفوا وتباينوا؛

فهم يقدمون على قدرهم،

لا على قدر الناس...



سادسًا- ميزانك مع المال/ التَّكسُّب للعيش:

هذا ميزانٌ ثقيل، وإحكامُ عَدْلُه شاقٌّ، إلا عَلى مَن يَسَّرَه الله عليه، وبادئ ذي بدء، نُقعِّدُ قواعدَ هذا الفصل:

١- قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨]، و(الخير) قيل في تفسيره إنه المال؛ فقد جُبِلَ الإنسان على حُبِّ المال: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ [الفجر: ٢٠].

٢- قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦] إلا أنَّ تتمة الآية بينت فيمَ يكون الخير والثواب: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

٣- قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

٤- قال رسول الله ﷺ: «مَالِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا، كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ بِشَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(١).

٥- وقال ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»(٢).

٦- وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»(٣).

٧- وقال ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٤).

---

(١) أخرجه تمام في الفوائد، باب أحاديث جميع بن ثوب الرحبي، ح: (٩١٢)، ج١، ص٣٥٨.
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، ح: (٢٣٢٠)، ج٤، ص٥٦٠، وصححه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب ما يُتَّقَى من فتنة المال، ح: (٦٤٣٩)، ج٨، ص٩٣.
(٤) أخرجه الترمذي في سننه، باب في التوكل على الله، ح: (٢٣٤٤)، ج٤، ص٥٧٣، وصححه الألباني.



٨- وقال ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ»[(١)].

٩- وقال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ»[(٢)].

١٠- وقال ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[(٣)].

١١- وجاء في الحديث القدسي قوله جل وعلا: «وَإِنَّ مِن عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يُصلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْغِنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّ مِن عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَمَنْ لَا يُصلِحُ إِيمَانَهُ إِلا الْفَقْرُ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ لأَفْسَدَهُ ذَلِكَ»[(٤)].

١٢- وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[(٥)].

١٣- وقال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[(٦)]، ولو تكلمنا تكلمنا عن الربا وحالنا اليوم؛ لما كفينا كُتُبًا!

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، ح: (٢٨٨٧)، ج٤، ص٣٤.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، ومن حديث ثوبان، ح: (٢٢٤٣٨)، ج٣٧، ص١١١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ح: (٢٠٧٦)، ج٣، ص٥٧.

(٤) أخرجه البغوي في شرح السنة، باب التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ح: (١٢٤٩)، ج٥، ص٢٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، ح: (١٠١٥)، ج٢، ص٧٠٣.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، باب في النهي عن العينة، ح: (٣٤٦٢)، ج٣، ص٢٧٤.



١٤- وقال رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

١٥- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ، وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا، إِلا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[2].

١٦- وقال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ»[3].

١٧- وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَالأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[4].

ومِمَّا قَعَّدْنا وأصَّلنا في هذا الباب، يتبين أنه يُمكن بناؤها على عدة محاور:

أ- المال لا بد أن يكون حلالًا ليُبارَك لك فيه وفيك، وليس ربًا.

ب- أن رزقك مكتوبٌ منذ أن كنت في بطن أمك؛ فمهما سعيتَ لن تنالَ إلا رزقَكَ، فلا تضيع عمرك في جمعه، إنما جُعِل المالُ ليُنتَفَعَ به، وليُطاعَ الله به.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب في تداعي الأمم على الإسلام، ح: (٤٢٩٧)، ج٤، ص١١١.

(٢) أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ح: (٢٧٤٤)، ج٤، ص٤٧٣.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، ح: (٢٣٥٣)، ج٤، ص٥٧٨، وقال الترمذي معلقا عليه: هذا حديث حسن صحيح، وكذلك الألباني.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، باب قول الله عز وجل: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، ح: (٣١٨)، ج١، ص٧٠.



ت- الدنيا إلى زوال؛ فتذكَّر دومًا أن تبني لدار الحق بأعمال البِرّ والصدقات؛ فخذ من الدنيا ما يُغنيك عن سؤال الناس، وادَّخِر التوسع للإنفاق في البِرّ والصدقة، وحينها تعتدل كفة ميزانك.

وكما قلنا من قبل: "الصدقة يأخذها منَّا الفقراءُ في الدنيا؛ لنأخذَها حسناتٍ في الآخرة"؛ فالمال أفضل خادم، وأسوأ سيد؛ فاجعل الدنيا بين يديك وليس في قلبك؛ فتأتيك راغمةً، وتقنع حينها بما عندك.

قال الشافعيُّ:

مَـنْ ظَـنَّ الـرِّزْقَ يَـأْتِي بـالقُوَّةِ ... ما أَكَلَ العصـفورُ شَـيْئًا مَـعَ النَّسْـرِ

د- كن قنوعًا بما قسمه الله تعالى لك؛ فلن يُفيدك النظر لما في أيدي الناس من رِزقٍ، بل إنك ستفقد الاستمتاع بما بين يديك، الذي قد يكون حُلمًا لغيرك... والرزق ليس شرطًا أن يكون مالًا؛ فالعِلمُ رزق، والخُلُق رزق، والصحة رزق، وحُبُّ الناس رزق، وستر الله لك وعليك رزق، وكُلُّ ما تَنْعَمُ به وتُنَعَّمُ فيه رزق، إلَّا أنَّك اعتدته وأَلِفْتَه حتى بات عندك كأن لم يكن، ولو أنك تفكرت قليلًا في حالك إن حُرِمْتَه، كيف ستكون؟!

ذكرنا من قبل في صفحات هذا الكتاب بعض ما يدور في جسمك من رزق الله لك؛ فتخيل لو أن أحد هذه النعم توقف مقابل ما تطمع فيه من رزق عند غيرك؛ فهل ستنال السعادة حقًّا؟!

فاعلم «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، ح: (٢٥٦٤)، ج٤، ص١٩٨٧.



كما قال عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ﴾ [النحل: ٧١].

ونورد في هذا السياق هذه القصة:

كان هناك رجلُ أعمالٍ غني [بمقاييس الناس] تمُرُّ سيارتُه كل يوم في شارع به أحد الباعة الجائلين يُعِدُّ (الفول والفلافل) في هذا المكان، ويرى الرجل يمر أمامه كل يومٍ بسيارته الفارهة؛ فيشعر بالحسرة والسخط على ما عنده وما حُرِمَ منه... وذات يوم، بلغ هذا الرجل الفقير [بمقاييس الناس] مبلغًا من الحقد والسخط، حتى صرخ بصوتٍ عالٍ: (ها هي الحياة، وها هم الناس الذين يعيشون وغيرهم لا يعيش)... فتوقفت السيارة، ونزل الرجل الغني منها، وخاف الرجل الفقير أن يؤذيه بعدما سمعه منه؛ فجمع الفقير أولاده خلفه، ووقف في زاوية المكان... تقدم الرجل الغني، وقال له: (أنتَ مَن قال هذا)؟ قال الفقير مُتَلَعْثِمًا: (لم أقصد... أنا... آسف). قال الغني: (هل هؤلاء أبناؤك)؟ أجاب الفقير: (نعم)، قال الغني: (هل تأكل الفول والفلافل)؟ قال الفقير: (نعم، ما نعرف طعامًا غيره)؛ فقال الرجل الغني: (أتبيعني أحد أبنائك)؟ زاد خوف الفقير، وقال: (لا... لا)، قال الغني: (أتبيعني كبدك)؟ قال الفقير: (لا)؛ فقال له الغني: (أعطيك سيارتي وشركتي وتُعطيني أبناءك كلهم)؟ قال الفقير: (لا أبدًا... مستحيل)، قال الغني: (أنا مَن يحق له أن يحسدك؛ فأنا عقيم، لا أُنجب، وأنفقت الملايين لأُرْزَقَ بطفلٍ وعجز الطب عن أن يحقق لي ما أتمنى، ولم تتمكن أموالي من الحصول على ما قدَّر الله علي حرماني منه، وليس عندي كبد تقدر على تحمل ما تأكل أنت؛ فلا آكل إلا الطعام المسلوق فقط، أرأيت الآن من يحق له أن يحسد غيره)؟!

وهذه قصة مصغرة لحقيقة واقعنا الذي نعيشه، فالناس ترى ظواهر الأمور ولا تُدرك بواطنها؛ فلتحمد الله على ما رزقك، ولتعلم أن ما حرمك منه ما كان إلا خيرًا لك.



هـ- لا تتنازل عن دينك ولا عن مبادئك من أجل مكسب دنيوي هو إلى زوال؛ فرزقك -كما علمتَ- مكتوب لك، لن يأخذه أحدٌ غيرك: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

نعم، لقد اعتلت المادة في هذا العصر، الذي امتلأ بالتفنُّن في الفتن والمغريات المبهرات، والتزود بالكماليات التي لن تغني عنك من الله شيئًا إن عصيته سبحانه من أجل الحصول عليها: كأكل الربا، أو ترك الصلاة، أو الخلوة مع غير المحارم والأجنبيات، أو خلع الحجاب والسفر دون محرم، أو التقصير في مهمتك الرئيسية وهي رعاية بيتك وأهلك وأبناءك... كل هذا من أجل جزء يسير من جناح البعوضة!!!

وكما قال الشاعر:

اتْـرُكْ فُضـولَ الـدُّنْيَا ولا تَكُن جَمَّاعًـا للمـال ... فــلا وَقْــتَ لَــدّيْكَ فـي عُمُــرِكَ وَإِن طــالْ

ولا تَتَفــانَى في بِنــاءِ الفانِيَــةِ فَهـيَ إلـى زَوال ... واعمُرِ الخالِدَةَ بالذِّكْرِ والطَّاعات وطيبِ الأعمالْ

فحياتك الدنيا كحياة الغريب الذي يزور بلدةً أو مدينةً لبعض الوقت؛ فماذا يكون زادُه فيها؟ فقط ما يكفيه حتى يعود إلى موطنه، والجنة هي موطنك يا ابن آدم؛ فاسعَ للعودة لها...

و- الله تعالى هو الرزاق، ولمن يبتغي الرزق؛ فعليه بأمرين:

(١) حسن الظن بالله تعالى. (٢) والتوكل على الله والثقة بكفايته.

فكما جاء في الحديث القدسي عن ربنا عز وجل أنه قال: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ»[(١)].

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، ح: (٢٥٧٧)، ج٤، ص١٩٩٤.



وقال رسول الله ﷺ: «لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ كُلَّهَا حَتَّى يَسْأَلَ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ»[1]؛ فإنه إن لم يُيسره لم يتيسَّر، ولتستعن بسؤال الله دومًا: ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ [النساء: ٣٢].

وكما لفت نظرنا ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معاني قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]؛ فقال: "وَهَذَا وَإِن كَانَ فِي الجمعه فَمَعْنَاه قَائِم فِي جَمِيع الصَّلَوَات وَلِهَذَا وَالله أعلم أَمر النَّبِي ﷺ الَّذِي يدْخل الْمَسْجِد أَن يَقُول اللَّهُمَّ افْتَحْ لي أَبْوَاب رحمتك وَإِذا خرج أَن يَقُول اللَّهُمَّ اني أَسأَلك من فضلك"[2]، انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

تذكَّــر:

دومًا ضع هذه الآية نُصبَ عينيك:

﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: ٨]

قال الشاعر:

أَيْنَ المُلوكُ وَمَن بالأرْضِ قَد عمروا ... قـد فـارَقُوا مـا بَنَـوا فيهـا ومـا عَمـروا

وَأَصْبَحوا رَهْنَ قَبْرٍ بالـذي عَمِلـوا ... عـادُوا رَميمًـا بـه مـن بعـد مـا دُثـروا

أيـنَ المُلـوكُ سـادت ومـا نفعَـت ... كـلُّ مـا جَمَعُـوا فيهـا ومـا ادَّخَـرُوا

أَتـاهُم أَمْـرُ رَبِّ العَـرْشِ في عَجَـلٍ ... لَـمْ يُـنجهم مِنـهُ أمـوالٌ ولا نُصِـرُوا

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، ح: (٣٦٠٤)، ج٥، ص٤٨١.

(٢) ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الزهد والورع والعبادة، المحقق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار، عمَّان – الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ص٩٤.



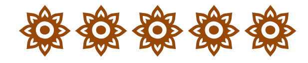
ماذا تفعل الدنيا بطُلَّابِها؟

كل ما جمعتَه اليوم، وأفنَيْتَ عُمرَك في بنائه، ستتركه غدًا لينتفعَ به وَرَثَتُك، وتغدو وحدَك لِتُحاسبَ عليه، كما قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[1].

لم يشتَرِ فرعون بملكه النجاة من الغرق، ولم تُنجِ قارون أمواله من الخسف، وكلاهما في الدرك الأسفل من النار.

همسة:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١]؛ فمن خَلَل الفهم أن يُظنَّ أنَّ الإنفاق في سبيل الله يُنقِص المال، بل إن العكس هو الصحيح، ويؤكده قوله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ»[2].



(١) أخرجه الترمذي في سننه، باب في القيامة، ح: (٢٤١٧)، ج٤، ص٦١٢.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب العفو والتواضع، ح: (٢٥٨٨)، ج٤، ص٢٠٠١.

أخيرًا- ميزانك مع السُّلطَة والقُوَّة:

ستجد أنَّ هذا الباب مرتبطٌ جدًّا بباب المال؛ فقد أصبح للمال في عصرنا هذا سُلطان وسيادة، وصار مصدرًا للقوة، وفَّق الله مَن أصلح له ميزانه، وجعل هذين الميزانين له ميزاني عدْلٍ، بأن يكون كل واحد منهما بمقتضى ما يُرضي مالك الملك... وهناك مَن خذله الله، وجعل للمال حظًّا في قلبه، وأَخْبَتَ حُبُّه للمال نورَ الإيمان في قلبه؛ فكان له سلطة ظلم وبغي.

وعند حديثنا عن السلطة بوجهٍ عام – سواء كانت مع المال أو غيره- ينبغي أن نقف على الفرق بين السُّلطة والمسؤولية:

- **المسؤولية**: هي أن تعرف دورك وواجباتك نحو الآخرين.
- **السُّلطـَة**: هي أن تُطالب الآخرين بأداء واجباتهم نحوك، وقد يكون ذلك مع التخلي عن حقوقهم.

السُّلْطَة بلا مسؤولية = بغي، والمسؤولية بلا سُلطة = عَجْز

- مَن لم يفهمهما من الأمم تجدهم قد تنكَّبوا وعلت على ظهورهم أمم أخرى.
- ولتحقيق هذا الميزان يجب الجمع بين الأمرين.
- وقد أجرى الله عز وجل سننه الكونية على من لم يفهم هذه المعادلة ولم يتعظ بحال غيره ويعتبر ويتعلم؛ فيخسر ويهلك، وما تقدَّم تقدُّمًا ملموسًا إلا مَن جمع بينهما؛ فيفتح الله له بالتقدم الإنساني والعلمي.
- كل منهما تبدأ من البيت وحتى سيادة العالم، ولا بد من تواجدهما معًا.



كم من أُممٍ وممالك بلغت بحضارتها وتقدمها ما قد يكون أسبق من عصرنا هذا [كالحضارات الفرعونية والفينيقية والآنكا (حضارات أمريكا اللاتينية) وغيرهم]، وعلماء اليوم يتحيرون فيما وصل إليه هؤلاء من علم في الفلك والحفريات والنحت والتنقيب والبناء والتحنيط وغيرها، حتى إنَّ فرعون كان يقول: ﴿وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ﴾ [الزخرف: ٥١].

فأي بناء عظيم كالأهرامات يُبنَى فوق الأنهار لا يتم له ذلك إلا بتقدم علمي وهندسي دقيق!!! نعم، أين هذه الأمم اليوم؟ فكلما صعدت أمة متمسكة بأحد المحورين دون الآخر، انهارت وتنكبت... حتى جاء الإسلام؛ فبنى الحضارة الإنسانية في أبهى صورها، وأزهى معالمها، وارتقى بالبشرية من مستنقعات الجهل إلى أنهار الوحي العذب؛ فرسَّخ أحجار الأساس للمُلك الحقيقي لسيادة الأرض بحق؛ لأنهم عَمِلوا لا لِمُلكِ الأرض، وإنما ليُخرِجوا العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومِن جور الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة؛ فعملوا بما علموا من الوحي، فعرفوا حقَّ الضعيف قبل القوي، وحقَّ الفقير قبل الغني وذي الجاه والمنصب؛ فارتقت وتجلَّت لأخذها بالأسباب الكونية، وبلغ نورها الآفاق، بل إنَّ نورها لا يزال في الأمم يسعى؛ فقد بلغت من العلوم والحضارة معًا ما عجزت عنه أوروبا في وقت كانت تعيش فيه في عصور الظلام في القرون الوسطى، إلى أن اختلَّ الميزان، وصدق في قوله ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُم بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[١].

ولأنَّ العدل أساس المُلك؛ فإنَّ الظُّلمَ أساس زواله، وكما قيل: "يرفعُ الله الأمة العادلة وإن كانت كافرة"، وانظر لمدح النبي ﷺ للنجاشي – وهو على النصرانية- عندما أمر أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد اشتداد أذى كفار قريش عليهم؛ فقال فيه: «إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ»[٢].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، باب في النهي عن العينة، ح: (٣٤٦٢)، ج٣، ص٢٧٤.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب الإذن بالهجرة، ح: (١٧٧٣٤)، ج٩، ص١٦.

الميـــــزان



فمن أراد السيادة؛ فعليه أن يأخذ بكفتي الميزان:

الحضارة الإنسانية	الحضارة العلمية
هي دعوة الإسلام كاملة، التي بدأت بتوحيد الله تنزيهًا عن الظلم الأكبر وهو الشرك، واستمرت بدوام العدل بين الناس بحفظ ضرورات الشريعة الخمس (الدين والنفس والمال والعِرض والعقل)، ولن تنتهي بإذن الله إن استمرت على هذا النهج، آخذةً بكمال الميزان <<< وهو الحضارة العلمية.	بمواكبة العلوم، وتوظيفها بما ينفع الناس، من غير تقديمها وحدها أو تأخير أو التنازل عن الحضارة الإنسانية؛ فهي مكملة لها، ولا يمكنها الصمود وحدها، وهذا ما استقرأه أهل العلم بدراسة تواريخ الأمم السابقة، وهي من الأهمية بمكان؛ لأننا أُمِرنا بالأخذ بها: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

همســات:

- السلطة مسؤولية، والمسؤول: مسؤولٌ يوم القيامة؛ فجَدِّدْ نيتك في أي موضعِ مسؤوليَّةٍ وُضعتَ فيه، هل أنت هُنا ليُذكر اسمُك؟ أم لتمتلك وتُسيطر؟ أم لطاعة الله وتوجيه الناس لطاعته؟
- سن الله في الكون قائمة بك أو بدونك، وهي لا تُحابي أحدًا.
- اطِّلع على تاريخ الأمم السابقة لتعلم أسباب زوالها؛ فتتجنبها، وأسباب صعودها؛ فتأخذ بها.
- تذكَّر أنَّ الأيام دُوَل، وكما تدينُ تُدان، وأوَّل ما يُقضَى فيه بين العباد: الدماء والمظالم، وأنَّ دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

الميـــــزان



العَــدْلُ كَالغَيْــثِ يُحْيــي الأرضَ وابِلَــةً

والظُّلمُ في المُلكِ مثلُ النارِ في القَصب

جاء في الحديث القدسي عن ربنا تبارك وتعالى:

«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»[١].



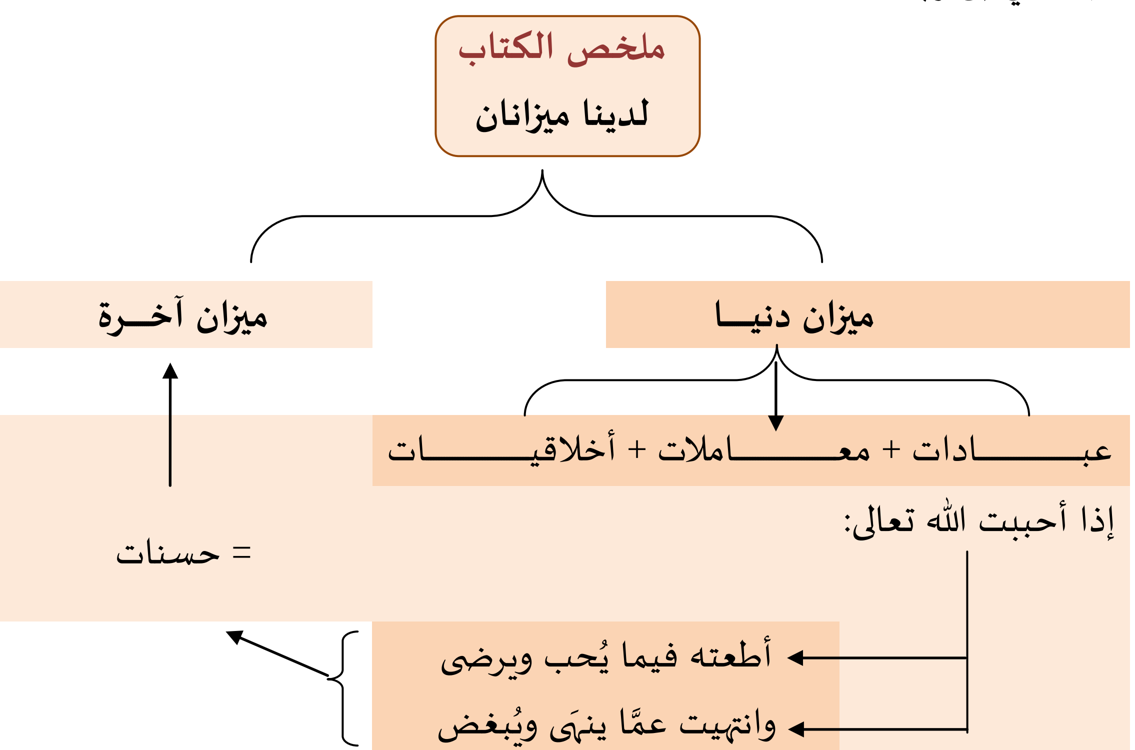
---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم، ح: (٢٥٧٧)، ج٤، ص١٩٩٤.



خاتمـــة

أنتَ راحلٌ عن الدنيا، أحببت هذا أو كرهته؛ فكن مع السالكين إلى الله، الذين عمَّروا الأعمار سيرًا إلى الله، آخذين من الدنيا حُظوظًا مالئين بها ميزانهم يوم لقاء الملك؛ فالبدار البدار أيها السالك إلى خُلدِ الديار، واتَّخِذ من الأعمار مَطِيَّةً؛ فإنما هي إلى ربها ماضية...



هذا، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وما كان من صوابٍ؛ فمنك وحدك ربنا؛ فاللهم ارزقنا حُبَّك، وحُبَّ مَن يُحبُّك، وحُبَّ كُلِّ عملٍ يُقرِّبُنا إلى حُبِّك، واللهم حسِّن أخلاقنا، وأرضِنا بما رزقتنا، واجعلنا لك مخلصين، ولعبادك مُحسنين مقسطين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].



اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا، وأقمنا على دينك ما حيينا، وأَمِتْنا على ما تُحبُّ وترضَى، وصلِّ اللهم وبارك على نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين...

والحمد لله رب العالمين،،،

الجمعـة ٦ جمادى الآخر ١٤٤٤هـ

الموافق ٣٠ ديســــــمبر ٢٠٢٢م



فهرس المحتويات











